الفصل السادس:

النهضة العربية

احتلت دول أوربا الجزائر، وتونس، ومصر، وليبيا، والمغرب الأقصى، وأخرجتها من سيطرة الدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وبقي العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية تحت السيطرة العثمانية المباشرة لحين سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، واحتلال البريطانيين والفرنسيين لها.

إن اقتصار حدود الدولة العثمانية على العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية وتركيا قد جعل العرب يشعرون أنهم قد أصبحوا الأكثرية في الدولة العثمانية وهم يواجهون مساوئ الحكم التركي، وتدهور اللغة العربية، التي هي لغة القرآن الكريم، وشيوعَ مفاهيمَ وأفكارٍ دخلت إلى الدين الإسلامي وهي لاتمت له بصلة مما ساعد على التخلف والتدهور، يضاف إلى هذا التدخل الأوروبي في الدولة العثمانية وضعفها، واطلاع المفكرين العرب والمصلحين على مبادئ الثورة الفرنسية وظهور مبدأ الأمة الواحدة الذي يتقاطع مع مفهوم الإمبراطورية التي تضم عدة أمم وقوميات، وتطور أوروبا صناعياً مع قيام الثورة الصناعية. كذالك كان لتجربة محمد علي باشا في مصر، وثورة المهدي في السودان والحركة الوهابية في الجزيرة العربية والحركة السنوسية في ليبيا أثرها في تغيير الموقف العربي من الحكام الأتراك الذين أصبحوا ضعفاء أمام أوروبا.

كل هذه العوامل قد أدت إلى تحرك العرب، وظهور دعوات مفكريهم إلى العناية باللغة العربية، وتخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به، ثم تطورت الدعوات إلى المطالبة بحقوق العرب القومية وهو ما عرف في التاريخ بالنهضة العربية أو اليقضة العربية. وعندما انتهجت السلطة العثمانية في مطلع القرن العشرين

سياسة التتريك العنصري للعرب و اضطهدتهم إثْرَ تسلُّم جميعة الاتحاد والترقي التركية للسلطة في الدولة العثمانية عام (١٩٠٨م)، طالب العرب في المشرق العربي بالاستقلال، و اضطروا إلى الثورة على الأتراك العثمانيين عام (١٩١٦م)، ولكن غَدْر الإنكليز بالعرب الذين تحالفوا معهم قاد إلى احتلال العراق و بلاد الشام و الجزيرة العربية من قبل الإنكليز و الفرنسيين بدلاً من حصولهم على دولة عربية موحدة ومستقلة. وكان ذلك خلال الحرب العالمية الأولى ليصبح الوطن العربي كلَّه تحت الاحتلال الأوربي.

١- الحركة الفكرية وأحياء التراث العربي:

بدأت النهضة العربية مع بوادر حركة إحياء اللغة العربية وآدابها من خلال المفكرين العرب في بلاد الشام و العراق ومصر والجزيرة العربية. ولما كانت بلاد الشام قد شهدت تطوراً في الطباعة والعناية بالمطبوعات خصوصاً في لبنان فقد أصدر عدد من الأدباء والمفكرين كتباً مهمة، منهم ناصيف اليازجي الذي سعى مع زملاء له من أجل أحياء التراث العربي. وقام بطرس البستاني بوضع قاموس عربي ودائرة معارف عربية وأصدر صحيفة في سوريا أطلق عليها اسم (نفير سوريا) دعت إلى الوحدة العربية.

ظهرت بواكير الشعر العربي القومي في الشام والعراق والمهجر بشكل خاص وبقية الوطن العربي بشكل عام، ومن الشعراء الأوائل في هذا الاتجاه الشيخ الشاعر الحمصي المتوفى سنة (١٨٤١م) أمين بن خالد الجندي الذي عاصر وصاحب حملة محمد علي باشا إلى بلاد الشام، وسجن بسبب مواقفه القومية المعادية للأتراك، وكتب في سجنه قصيدة قال فيها:

سلبوا البلاد من العباد فلا ترى في حكمهم ذا نعمة متمولا

من يخبر الأتراك ان جيوشهم هزمت وان مصيرَهم ولى إلى مجهولا

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالدعوة لنهوض العرب من جديد، و إحياء تراثهم المشرق الشاعر: إبراهيم اليازجي، اللغوي، المحقق، الذي نظم قصائده منذ عام (١٨٦٨م) عندما كان في العشرين من عمره وغدا عام (١٨٧٥م) عضواً في الجمعية

الوطنية العلمية والتي يعتبر تأسيسُها أولَ ظاهرةٍ من ظواهر الوعي القومي العربي، وهو صاحب القصيدة المشهورة ومطلعها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب قد طما الخطب حتى غاصت الركب

فيم التعلل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحات القنا سلب

أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

الله أكبر ما هذا المقام فقد شكاكم المهد واشتاقتكم الترب

فشمروا و انهضوا للأمر وابتدروا من دهركم فرصةً ضنت بها الحقب

فيا لقومي، وما قومي سوى عرب ولن يُضَيَّعَ فيها ذلك النسب

ويعتبر اليازجي رائداً من رواد الشعر القومي، المشبع بروح الثورة على الاستبداد التركي ولذلك كانت النشرات السرية التي تلصق على جدران بيروت ودمشق عام (١٨٨٠م) تختتم بمقاطع من هذه القصائد.

وفي العراق تبوأ الشعراء العراقيون مكانة مرموقة في الشعر القومي العربي الحديث وفي مقدمتهم عبد المحسن الكاظِمي، ومحمد رضا الشبيبي، ومعروف الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد بهجت الأثري، وغيرهم. وقد التقت قصائدهم الثائرة مع صيحات الأحرار في بلاد الشام، ومصر ضد الاستبداد التركي الحميدي.

ومما قاله الشاعر جميل صدقي الزهاوي(١٨٦٣-١٩٣٦) في قصيدته (ختام فعل):

وما هي إلا دولة مستبدة تسوس بما يقضي هواها وتعمل

فتعسا لقوم فوضوا أمر نفسهم إلى ملك عن فعله ليس يسأل

تمهل قليلا لا تَغِظْ امةً إذا تحرك فيها الغيظ لا تتمهل

وأيديك إن طالت فلا تَغْتَرِرْ بها فإن يد الأيام منهن أطول

وكان مصير الزهاوي السجن بعد هذه القصيدة، أما معروف الرصافي(١٨٧٥-١٩٤٥م) فقد جاء في قصيدته (تنبيه النيام):

أما آن ان يغشى البلاد سُعودُها ويذهبَ عن هذي النيام هُجُودُها
أما أسدٌ يحمي البلاد غَضَنْفَرٌ وقد عاث فيها بالمظالم سيِدُها
عجبت لقوم يخضعون لدولة يسوسُهُمُ بالموبقاتٍ عميدُها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها

وكتب محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥) قصيدة يحث امة العرب على النهوض قال فيها:

قلب يحز به الألم عبس الزمان أو ابْتَسَمْ
يا أمة من جهلها تأبى مجاراة الأممْ
ذلت حديثا أمَّةُ أبدا تفاخر بالقدمْ
وأحال منها رِمَّةً طولُ التباهي بالرِّمَمْ

وقال الشبيبي مفاخرا بالعرب:

ومن كان قحطا ن أباه فإنَّهُ وإنَّ بني قحطانَ إذْ جَدَّ جِدُّهُمْ
له الصدر دون العالِمين أو القبر لأعظم من أن يستنيم بها حر

وفي لبنان كتب الشاعر رشيد سليم الخوري القروي قائلا:

عش للعروبة هاتفا انْظُرْ إلى آثارها
هذا التراث ولن يموتْ بحياتها ودوامها
تُنْبيكَ عن أيامها عَظُمَتْ لدى إسلامها

وفي مصر التي كانت تحت الاحتلال البريطاني تناغم شعراؤها مع شعراء العراق، وبلاد الشام فكتب حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها:

أم اللغات غداة الفخر امهما وإنْ سألت عن الآباء فالعرب

ومن المفكرين الذين كان لهم دورهم في النهضة العربية (عبد الرحمن الكواكبي) الذي دعا للعودة إلى القرآن الكريم، والإيمان بأن العرب هم مادة الإسلام وأساسه، وإلى ضرورة مساواتهم بالأتراك، وهاجم الاستبداد التركي في كتابه «طبائع الاستبداد»، كما أصدر كتاب «أم القرى» دعا فيه إلى قيام هيئة أمم إسلامية موحدة تجتمع في مكة المكرمة في الجزيرة العربية.

ومن المصلحين الآخرين الذين كان لهم تأثيرهم في النهضة العربية (جمال الدين الأفغاني) الذي دعت حركته إلى تخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به، وإصلاح الحالة الدينية، والاجتماعية والوقوف بوجه النفوذ الأوربي. ومع أن الأفغاني في بداية كتاباته لم يركز على القضية القومية، إلا أنه عاد وتناول موضوع اللغة واللسان، و أهميتها في رابطة المسلمين، وأكد على الصلة بين العروبة والإسلام؛ لأن اللسان العربي هو لسان الدين، وقد انطلق من هذا المبدأ ليدعوَ إلى تعريب الدولة العثمانية لأنها لو تعربت زال النفور والانقسام بين التركي و العربي ((وصاروا أمة عربية بكل مافي اللسان من معنى، وما في الدين الإسلامي من عدل وَلمَا كان من دول الأرض أغنى منهم مملكة وأعز جانباً وامنع حوزة)).

إن هذه النهضة الفكرية قد قادت إلى تأسيس جمعيات علمية وأدبية، فقد أنشأ ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني عام (١٨٤٧م) (جمعية الآداب والعلوم) التي اهتمت بالبحوث الأدبية والعلمية، والاجتماعية والسياسية.

وفي عام (١٨٥٦م) أنشأ اليازجي، والبستاني، ومعهما عدد من المثقفين المسلمين جمعية عربية باسم (الجمعية العلمية السورية) ضمت في البداية (١٥٠) عضواً من العرب و مختلف الطوائف الدينية. ومن أعضائها إبراهيم اليازجي ومحمد أرسلان. وكان هدف الجمعية الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي و الوحدة الوطنية، وتمثل هذه الجمعية الادبيه بواكير الحركات السياسية التي دعت إلى الاستقلال و التخلص من الاستبداد التركي العثماني.

لم تقتصر النهضة العربية على بلاد الشام والعراق وحدَهما، بل سادت كل أرجاء الوطن العربي سواء في العراق، أو الجزيرة العربية، أو مصر، أو المغرب

العربي وقد ظهر العديد من المفكرين الداعين إلى نهوض الأمة العربية، وإحياء التراث العربي الإسلامي للتخلص من السيطرة الأوروبية في مصر والمغرب العربي، فكانت الأفكار والمبادئ القومية العربية الإسلامية التي طرحها المفكرون العرب في المشرق العربي، هي نفسها التي طرحها المفكرون المغاربة في المغرب العربي، وفي الفترة نفسها.

فالنهضة العربية كانت شاملة في كل الوطن العربي لكنها ركزت على العروبة في المشرق لاصطدامها مع الأتراك العثمانيين المسلمين[١]، وركزت على الإسلام في المغرب لاصطدامها مع الأوروبيين المسيحيين إلا أن المشرق والمغرب لم يفرقا بين العروبة والإسلام فالهدف كان واحداً. كذلك فإن النهضة في المشرق العربي كانت منظمة من خلال جمعيات وأحزاب مارست العمل السياسي السلمي إلى قيام الثورة العربية عام (١٩١٦م) بينما كانت النهضة في المغرب العربي ذات طابع مسلح و مقاومة عنيفة ضد المحتلين الأوروبيين.

وإذا ما تناولنا النهضة الفكرية في المغرب العربي فإننا نجد ان المبادئ والاتجاهات كانت واحدة مثلما هي في المشرق العربي حيث الترابط المصيري بين العروبة والإسلام،فلا عروبة بدون إسلام ولا إسلام بدون عروبة فالعروبة جسد روحه الإسلام،وهي الأرض الصلبة لمبادئ الإسلام وحضارته ولذلك نجد ان عبد القادر الجزائري قائد ثورة الجزائر ضد الفرنسيين ينشد قائلا:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالمجد القديم علت قريش ومنا فوق ذا طابت فعال

ومن الجزائريين العروبيين حمدان خوجة الذي شكل مع رفاقه أحمد بو ضربة، وابن مرابط وحمدان أغا، وإبراهيم بن مصطفى حزباً قومياً باسم: (اللجنة المغربية) (١٨١٤ـ ١٨٧١م) دعا من خلاله إلى الاعتراف بالقومية العربية في الجزائر وكتب يقول (إن الأمة العربية قامت لترد العدوان، الذي يهدد لغتها، ودينها، وعاداتها وتقاليدها ووجودها).

(١)

وفي ليبيا تأسست جمعية سرية بعد احتلال البريطانيين لمصر عام (١٨٨٢م) دعت إلى مقاومة الأطماع الأوربية، وضرورة تعليم اللغة العربية، ومن أبرز أعضائها أحمد النائب، وحمزة الدين، وإبراهيم سراج الدين، الذي أصدر جريدة (الحجاز).

وفي تونس أكد محمود قبادو عام (١٨١٤ـ ١٨٧١م) على ضرورة التمسك بالثقافة العربية الإسلامية، وقال: إن حضارة العرب، هي أساس حضارة أوربا، ولا رقي للأمة العربية إلا باستعادة نهضتها الحضارية. وأسس البشير صفر الجمعية الخلدونية عام (١٨٩٦م).

وكان عبد العزيز الثعالبي عام (١٨٧٦ ـ ١٩٤٤م) الذي درس في جامع الزيتونة ومعهد الخلدونية واصدر جريدة(سبيل الرشاد) و(التونسي) وهذه الأخيرة حملت لواء يقظة العرب وتحريرهم، معجبا بأفكار عبد الرحمن الكواكبي العروبية الإسلامية، وأسس حركة تونس (الفتاة) عام (١٩٠٨م)، وأكد في مؤتمر عقد في باريس في العام نفسه أن تونس جزء من الوطن العربي؛ لأنها عربية الانتماء، وطالب بتعريب التعليم وإنشاء مدارس عربية ابتدائية على غرار مدارس سوريا ومصر.

وكان في رحلاته إلى البلاد العربية يبشر بهذا الفكر حتى أنه ألقى محاضرة في أعالي جبال اليمن الأوسط في مدينة إب دعا فيها الحاضرين إلى العمل على إحياء الروح العربية الإسلامية، ببث المبادئ القومية دون التقاطع مع الدين. من جانب آخر كانت لعبد الرحمن الكواكبي علاقة قوية بالشيخ محمد السنوسي، وبو حاجب في تونس.

التقى عبد العزيز الثعالبي الأميرَ فيصل بن الحسين، وسعد زغلول في مؤتمر الصلح بباريس عندما حضر للدفاع عن بلاده، وقام بالتنسيق معهما حول الموقف من مطالب العرب التحررية، وقيام دولتهم الموحدة. وعندما أصبح فيصل ملكاً على العراق أمر بتعيينه مدرساً للفلسفة الإسلامية في جامعة آل البيت ببغداد عام (١٩٢٦م)، ثم أصبح ملحقاً ثقافيا للعراق في مصر عام (١٩٣٠م).

لقد انعكس تلاحم الوعي القومي العروبي الإسلامي في مشرق الوطن العربي ومغربه من خلال القصائد الشعرية، فقد أنشد الشاعر العراقي معروف الرصافي قائلا :

أتونس إنّ في بغداد قوماً تَرِفُّ قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب إلى من خَصَّ مَنْطِقَهم بضاد
وما ضَرَّ البِعادُ إذا تدانت أواصرُ من لسانٍ واعتقاد

وكان الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥ـ ١٩٣٥م) يؤكد على أن العرب أمة واحدة فينشد قائلا:

أَحنُّ إذا قيل العراق وأنحني واشهق إن قيل الشآم وأزفر
وأُطْرِقُ إن قيل الحجازُ على جوىً وأعجبُ إذ ما قيل مِصْرُ وأَبْهَرُ
جميعُ بلاد العرب في القَدْر واحدٌ إذا وَزَنُوا البلدانَ يوما وقدَّروا

إن التوجه العروبي الإسلامي كان موجودا في المغرب منذ أيام السعديين في القرن السادس عشر، بعد أن احتضن السعديون الكثير من المفكرين والأدباء المشارقة، الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى بعد أن سيطر السلطان العثماني سليم الاول على مصر، وبلاد الشام، والحجاز، واليمن، وأهملَ العثمانيون الأتراك الثقافة العربية.

ولذلك كان المشارقة يناشدون السلطان المنصور أحمد السعدي بقصائد لتخليص المشرق من الأتراك، ويقول المؤرخ المغربي ابن القاضي: إن المشارقة كانوا ينتظرون ساعة الخلاص من الحكم التركي على يد المنصور السعدي.

ومن هذه القصائد قصيدة عبد العزيز القشتالي التي جاء فيها:

أَدْرِكَنْ مصر والعراق ويمنْ حَرَمَ الحيِّ فيهمُ خيرٌ آلِ
إن شرق البلاد يرجوك شوقا مثل ما يرتجى طلوع الهلال

وقال الشاعر الحسن بن أحمد المسفيوي:

فما دون درب الشام غير التفاتة وما دون بغدادِ العراقِ سوى فِتْرِ
وهذيْ الشآم وهذي العراق سَتُمسي لَكُمْ وَهْيَ دارُ القرارِ

إن هذا الاندماج الفكري الواحد، قد دفع المؤرخين المغاربة إلى تشبيه مدينه فاس بدمشق، والرباط بالإسكندرية ومراكش ببغداد، واقتبس المغاربة بعض أسماء المدن العربية مثل البصرة في العراق.

من جانب آخر انعكست الحركة الفكرية الأدبية و التراثية في الصحف والمجلات العلمية التي ساعدت على نشر أفكارَ هذه الحركةِ ومبادئَها مثل: جريدة (حديقة الأخبار) التي صدرت في بيروت عام (١٨٥٧م). وأصدر إبراهيم اليازجي (مجلتي البيان) و (العيناء) عام (١٨٨٣م) من سوريا. كما أصدر أحمد فارس الشدياق في اسطنبول جريدة (الجو ائب) التي عنيت باللغة العربية، و السياسة الدولية. كما صدرت صحف في العديد من مناطق الوطن العربي الأخرى كان لها أثرها الكبير في نشر الثقافة العربية و إغناء الفكر العربي بالمقالات و البحوث في مختلف المجالات.

أدرك العرب أن التعليم و المدارس لها أهمية في نهضتهم العربية، وذلك بأنّ الدولة العثمانية لم تكن تهتم بهذا الموضوع إلا في حدود ضيقة، و اقتصر التعليم على مراكز الولايات. فاهتم العرب بتعليم أبنائهم في الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة وتحفيظ القران الكريم. كذلك انتشرت حلقات تدريس علوم اللغة والدين في المساجد. ومن أشهرها: (جامع الأزهر) في القاهرة، و(الجامع الأموي) في دمشق و(جامع القرويين) في فاس، و(جامع الزيتونة) في تونس، و(جوامع العراق) في بغداد في أبي حنيفة النعمان، و(جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني) و جوامع الموصل والبصرة والأماكن المقدسة في النجف وكربلاء. فكان لهذه المساجد الدينية أثرها في تخريج رجال العلم و الأدب و الشعر، وكان لهم دورهم في النهضة العربية اجتماعياً وسياسيا

٢- الجمعيات و الأحزاب السياسية العربية:

كان لتصاعد سياسة القمع و الشدة في أواخر أيام الدولة العثمانية تأثيره في ظهور جمعيات سريه مثل (جمعية بيروت السرية) التي تأسست عام (١٨٧٥م) ودعت إلى منح استقلال لسوريا ولبنان موحدة، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد، و إلغاء الرقابة و القيود المفروضة على حرية التعبير ونشر الثقافة.

وتشكلت جمعيات سرية أخرى على غرار هذه الجمعية في العراق وبلاد الشام. ومن الجمعيات الأخرى (رابطة الوطن العربي) التي أسسها نجيب عازوري في باريس مطلع القرن العشرين عام (١٩٠٤م) دعا من خلالها إلى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية لتصبح دولة مستقلة موحدة تنبذ الطائفية والعرقية. وأصدر عازوري مجلة شهرية في باريس أسماها (الاستقلال العربي) هدفها التعريف بالقضية العربية أمام الغرب الأوربي لاعتقاده بأن الغرب قادر على مساعدة العرب في سبيل حصولهم على استقلالهم.

وفي دمشق تم تأسيس (جمعية النهضة العربية) عام (١٩٠٦م)، ثم تأسست في اسطنبول (جمعية الاتحاد العربي العثماني) عام (١٩٠٨م) وكانت لها فروع في الولايات العربية، إلا أن السياسة العنصرية التي اتبعتها جمعية الاتحاد و الترقي التركية، والتي استلمت السلطة في انقلاب (١٩٠٨م) أدت إلى إلغاء هذه الجمعية وتشكيل (جمعية المنتدى العربي).

ومن الجمعيات السياسية الأخرى، التي تشكلت في اسطنبول من قبل الضباط العرب هي الجمعية القحطانية عام (١٩٠٩م) و دعت إلى تكوين دولة اتحادية من العرب والأتراك داخل إطار الدولة العثمانية لضمان حقوق العرب القومية. وكان من أبرز مؤسسيها عزيز علي المصري، وسليم الجزائري.

ويجب ألّا ننسى أن أعادة العمل بدستور عام (١٨٧٦م) وإجراء الانتخابات في الدولة العثمانية قد أدى إلى فوز نواب عرب عن الولايات العربية، أصبحوا ممثلين لولاياتهم في (مجلس المبعوثان) العثماني ومقره اسطنبول. وقد قام هؤلاء النواب بتحركات سياسية مهمة للانضمام إلى هذه الجمعيات.

إن من أبرز الجمعيات السياسية هي تلك الجمعية، التي أسسها الطلاب العرب في باريس عام (١٩١١م) و أطلقوا عليها اسم (الجمعية العربية الفتاة) و التي دعت صراحة إلى الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية. ثم انتقل مركزها إلى بيروت عام (١٩١٣م) ومن ثم إلى دمشق. ولعبت دوراً مهماً في تثبيت المطالب العربية من خلال ميثاق دمشق.

وفي عام(١٩١٢م) تأسس في مصر (حزب اللامركزية) في القاهرة، وتكونت له فروع في سوريا و العراق. وقد دعا هذا الحزب إلى تحقيق الحكم الذاتي داخل إطار الدولة العثمانية.

وفي عام (١٩١٣م) أسس الضابط عزيز علي المصري (جمعية العهد) في اسطنبول، وأنشأ لها بعد ذلك فرعين في العراق (الموصل وبغداد) وفي دمشق، وكان لهذه الجمعية دورها أيضا في التَّهيِئَة للثورة العربية عام (١٩١٦م) وكان مُنْتَسِبوها من الضباط العرب، كذلك تأسست في بيروت الجمعية الإصلاحية عام (١٩١٣م) وفي البصرة في العراق تأسست أيضا الجمعية الصلاحية برئاسة طالب النقيب، وأصبح لها فروع في بغداد و الموصل.

اتخذت هذه الحركة السياسية من الصحافة وسيلة للتعبير عن أفكارها ومبادئها خصوصاً وأن الصحف قد انتشرت بشكل كبير في الولايات العربية بعد الانقلاب الدستوري العثماني عام (١٩٠٨م).

٣-المؤتمر العربي الأول عام (١٩١٣م):

تصاعد الشعور العربي القومي مع تصاعد سياسة التتريك العنصري، التي اتبعهتا جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على السلطة في اسطنبول بانقلاب عسكري عام (١٩٠٨م)، ومن ثم إعلانها سياسة التتريك العنصري جهاراً بعد حوالي عامين من استلامها للسلطة، وقد انعكس الموقف العربي من هذه السياسة العنصرية لطمس الهوية العربية، وإلغاء لغتها في الشعر العربي فقد كتب الشيخ فؤاد الخطيب منشدا:

لغة بفضل جمالها وجلالها شهدت شواهد محكم القرآن

عاديتم ما تجهلون ولم يَعِبْ قَدْرَ الورود كراهةُ الجعلانُ

والله يأبى ان تذل فبشروا من رام ذلتها بكل هوان

وقال الخطيب في قصيدة أخرى:

جاروا على لغة القرآن فانصدعت له القلوب وضج البيت والحرم
فالقدس باكية والشام شاكية وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

ومن المهجر كتب أبو الفضل الوليد منشدا:

ما بيننا نسب فيه لنا شرف وهذه اللغة الزهراء برهان
عيسى وأحمدُ في بلواهما اجتمعا والناطقون بحرف الضاد إخوان

وهاجم معروف الرصافي الاتحاديين بعد أن كان قد انضمَّ إلى جمعيتهم فقال:

كأنا لهم شاء فهم يحلبوننا وكم مَخَضُوا أوطاننا مِخْضَةَ الزِّقِّ
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا وشيب وشبان على ضُمَّرٍ بُلْقِ

وقال الرصافي في قصيدة أخرى:

العرب أكبر أمة مشهورة بفتوحها وعلومها وبيانها
فالمجد مأثور بكل صراحة عن قيسها أبدا وعن قحطانها
وهم الالى خضعت لهم أمم الورى من تركها طرا إلى اسبانها
والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها

وكتب شاعر مصر حافظ إبراهيم قائلا:

إذا ألمت بوادي النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا في ثرى الاهرام ذو ألم أجابه في ذرى لبنان منتحب

إن هذه القناعة بأن الأتراك الاتحاديين يريدون إلغاء اللغة العربية، وطمس هوية العرب القومية قد دفع الجمعيات، والأحزاب العربية للاتفاق على ضرورة المطالبة الجماعية بضمان حقوق العرب القومية، فانعقد في باريس في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع (سان جرمان) المؤتمر العربي الأول خلال الفترة ١٨ـ ٢٣

حزيران عام (١٩١٣م). وقد نظم هذا المؤتمر ودعا له وعقده بعض من رجال جمعية (العربية الفتاة) وحزب اللامركزية. واشترك فيه أيضا بعض أعضاء الجالية العربية في الولايات المتحدة بالاضافة إلى ممثلين عن مصر وسوريا ولبنان و العراق. وكان هدف المؤتمر الوصول إلى قرارات، ومطالب تطرح أمام السلطة التركية العثمانية. وهذا يعني: أن المؤتمر لم يكن يفكر بانفصال العرب عن الدولة العثمانية وإنما الحصول على حقوقهم القومية داخل إطار الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من أن جمعية العربية الفتاة كانت تنادي بالاستقلال التام. وبمعنى آخر فإن هدف المؤتمر هو تنسيق العمل العربي المشترك، وإصلاح الأوضاع العربية على أساس اللامركزية، وإيقاف سياسة التتريك العنصرية ضد العرب.

وقد جاء في قرارات المؤتمر ما يلي:

* منح العرب حقوقهم السياسية واشتراكهم في الإدارة المركزية.

* منح الولايات العربية الحكم الذاتي ضمن اطار الإمبراطورية العثمانية.

* جعل اللغة العربية لغة رسمية مع اللغة التركية. على أن تصبح اللغة العربية لغة التدريس الحكومية في الولايات العربية.

* أن تكون الخدمة العسكرية لسكان الولايات العربية في ولاياتهم، إلا في الحالات الاستثنائية.

خشيت حكومة الاتحاد والترقي من هذا الموقف العربي، فأرسلت ممثلاً عنها ووعدت بتحقيق المطالب العربية، ولكن حركة التتريك العنصري في الدولة العثمانية وقفت عائقاً أمام تحقيق مطالب العرب وحقوقهم القومية، خصوصاً عندما أصبح جمال باشا السفاح والياً على بلاد الشام وقام بتشتيت الكتائب العربية، ونقلها خارج الولايات العربية، وتم القبض على معظم القيادات العربية السياسية، وأعدم عدد من القادة العرب في سوريا و لبنان خلال عامي (١٩١٥ـ ١٩١٦م). وفي الحجاز توترت العلاقة بين شريف مكة الحسين بن علي، والسلطات العثمانية خصوصاً وأنه لم يحرك ساكناً لمؤازرة الدولة العثمانية بإرسال قوات عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م). فقد أعلن السلطان العثماني (الجهاد المقدس) ولكن الشريف حسين لم يعلن ذلك، وأبلغ السلطان وقوفه إلى

جانبه سراً لأنه يخشى انتقام البريطانيين الرابضين على سواحله في الحجاز وفي عدن.

٤- دور الحركة الشعرية العربية في التهيِئَة للثورة.

لم يجد العرب بعد أن استمر الأتراك في سياستهم المعادية لهويتهم القومية سوى التخطيط للثورة المسلحة على الأتراك العثمانيين، الذين دخلوا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وحلفائها. وقد ساهمت الحركة الفكرية العربية في تهيئة الناس للثورة. وعندما أُعْدِمَ القادة العرب من قبل جمال باشا السفاح نظم الشعراء العرب القصائد في رثائهم وفي التحريض على الثورة، وتغنوا بما ردده الأبطال على أعواد المشانق:

نحن أبناء الألى شادوا مجدا وعلا نسل قحطان الأبي جد كل العرب

فقد كتب لابي الفضلِ الوليدِ من المهجر منشدا:

مشيتم باسلين إلى المنايا وكان لكم على النطع ابتسام

لِيَحْيَ العرب قد صحتم ومتم فَصَيْحَتُكم لخِطَّتِكم دوام

و كتب الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي عن الشهداء فقال:

قالوا تكون فداءَهم أوطانُهم فتجاوبوا كلا نكون فداءها

إن الضمائر والقلوب إذا دجت دخل الأسى أعماقها فأضاءها

وأنشد الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي فقال عن الشهداء:

وهل (للعريسي) الجريء و(عارف) إذا عد أقطاب اليراع عديل

و(عبد الكريم) الندب ما ضاع رشده ببيت يؤسي الشعب وهو يقول

((إذا مات منا سيد قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول))

وكتب رشيد سليم الخوري فقال:

أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

وعندما ظهرت بوادر الثورة العربية المسلحة، تداعى الشعراء العرب يحثون الناس على المشاركة فيها:

فقد أنشد الشاعر جورج عساف فقال:

جف المداد فكم أنادي أمة ... معصوبة العينين كالعميان

هُبُّوا فقد طالت ليالي بؤسِكم ... والشمسُ مشرقةٌ على الأكوان

لولا تخاذلكم لما بتم بلا ... عز ولا مُلْكٍ ولا سلطان

وكتب إيليا أبو ماضي فقال:

يالقومي بلغ السيل الزبى ... واستطال البغي واستشرى الفسادْ

كتب السيف أقرؤوا ما كتبا ... لا يُنَالُ المجدُ إلا بالجهادْ

ودعا الفضل أبو الوليد من المهجر العرب إلى الثورة فقال:

هبوا بني أمي وصيحوا صيحة ... يصحو العراق لها ويصحو الشامُ

والله لاعدلٌ ولا حريةٌ ... حتى يُجَرَّدَ بيننا الصمصامُ

ما حرر الأقوام إلا ثورةٌ ... فيها تعانقت الظُّبا والهام

٥- ميثاق دمشق ومراسلات حسين مكماهون:

عندما قررت القيادات العربية في بلاد الشام، و العراق القيام بثورة ضد الأتراك العثمانيين، اتصلوا بالشريف حسين طالبين منه دعم حركتهم، والموافقة على قيادة الثورة بصفته الدينية، ولأن مكة المكرمة هي قبلة المسلمين. .فلم يجب الشريف حسين على الطلب مباشرة لا سلباً ولا إيجابا، وقرر إرسال ولده فيصل إلى سوريا للالتقاء بالقيادات العربية. . وكانت الحجة هي إيفاده إلى اسطنبول لإبلاغ الصدر الأعظم بأن والي الحجاز يتآمر عليه، ولكن الهدف الحقيقي الاطلاع على خطط القادة العرب، وإبلاغهم أن البريطانيين قد اتصلوا بوالده يبدون استعدادهم لدعمهم ضد الأتراك.

وصل الأمير فيصل بن الحسين دمشق في ٢٦ آذار (١٩١٥م) ومكث فيها شهراً كاملاً، أقام خلالها عند عائلة البكري التي تنتمي إلى جمعية العربية الفتاة. واطلع على أسرار الحركة القومية العربية، وعقد اجتماعاً مع قادة الجمعية في بيت عطا بكري، الذين شرحوا لفيصل الأسباب التي دعتهم لاتخاذ قرارهم بالقيام بثورة ضد الأتراك. وأبلغوه أن قرارهم ـ الذي اتخذوه قبل حوالي شهر ـ هو «نتيجة لاشتراك تركيا في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضاً لمخاطر شديدة. ويجب بذل الجهود لضمان حريتها واستقلالها. كما تقرر أنه إذا تحقق أن للدول الأوروبية مطامع في هذه البلاد فإن الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركيا لكي تقاوم التدخل الأجنبي مهما تكن صورته».

وافق الأمير فيصل على قرار جمعية العربية الفتاة، وأصبح عضواً فيها بعد أن أدى قسم الانتماء. ثم اجتمع بعد ذلك ببعض أعضاء (جمعية العهد) وهي المنظمة السرية التي تضم ضباطاً عرباً.

سافر فيصل بعد ذلك إلى اسطنبول ليعرض شكوى والده ضد الوالي العثماني في الحجاز وليموِّهَ على الأتراك الغاية الأساسية من سفره. ثم عاد فيصل إلى دمشق في ٢٣ آذار فوجد زملاءه في جمعيتي (العربية الفتاة) و (العهد) قد اتفقوا على خطة العمل حينَ غيابه. ووضعوا ميثاقا يتضمن الشروط التي يطالب بها القادة العرب لكي يتحالفوا مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية. واتفقوا أيضاً على أن يحمل هذا الميثاق إلى مكة الأمير فيصل، ويطلب من والده أن يستوضح من الحكومة البريطانية فيما إذا كانت تقبل هذه الشروط أساساً للعمل المشترك عند قيامهم بالثورة ضد الأتراك.

وقد نص الاتفاق على مايلي:

ـ «اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية:

شمالا ـ خط مرسين ـ أطنه ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالاً، ثم على امتداد خط بيريجيك ـ أورفه ـ ماردين ـ مديات ـ جزيرة ابن عمر ـ العمادية ـ إلى حدود إيران.

شرقاً ـ على امتداد حدود إيران إلى الخليج العربي جنوباً.

جنوباً ـ المحيط الهندي، باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو.

غرباً ـ على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط إلى مرسين.

ـ إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية.

ـ عقد معاهدة دفاعية بينَ بريطانيا وهذه الدولة العربية المستقلة... وتقديم بريطانيا، وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية.

يقول جورج انطونيوس في كتابه «قظة العرب»: إن هذا الميثاق كان ذا قيمة كبيرة جداً، ولا تقتصر قيمته على أهمية ما تضمنه من شروط وحسب، إنما تتمثل أيضا في أن الشريف حسين قد استخدم نصوصه بعد ذلك، في شهر تموز، حينما أستأنف مباحثاته مع بريطانيا عبر المراسلات التي عرفت باسم (مراسلات حسين ـ مكماهون). ويضيف انطونيوس: إن وثيقة ميثاق دمشق قد طالبت باستقلال العرب والتحالف مع بريطانيا، إلا أن قيمتها الكبرى تتمثل في توضيحها لموقف العرب تجاه الدول الغربية الكبرى، فقد كان هدفهم الاستقلال التام المحصن ضد أي تدخل أجنبي بما فيه التدخل الأجنبي الذي يعرف باسم (الامتيازات الأجنبية).

عاد الأمير فيصل إلى مكة بوثيقة (ميثاق دمشق) بعد أن أقسم ستة من القادة العرب الرئيسيين أمامه على الولاء للشريف حسين كممثل للعرب، وعلى أن تهب الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام للثورة إذا ما اتفق البريطانيون مع الشريف حسين على تحقيق الشروط الواردة في الميثاق. وتأكيداً لهذا العهد أعطى الشيخ بدر الدين الحسني أكبر علماء دمشق خاتَمَهُ إلى فيصل ليسلمه لوالده لثقة أهل الشام به.

بعد اطلاع الشريف حسين على (ميثاق دمشق) وافق عليه واتخذه أساسا لمراسلاته مع ممثل الحكومة البريطانية مكماهون إذ عرض عليه الشروط نفسها الواردة في الميثاق، وأبلغه أنه بهذه المطالب لا يمثل نفسه وإنما يمثل مطالب العرب. علماً أن السير (هنري مكماهون) كان يتولى منصب المندوب السامي البريطاني في مصر والسودان.

بدأت المراسلات بين الشريف (حسين بن علي) و (هنري مكماهون) في ١٤ تموز عام (١٩١٥م) وهو تاريخ أول رسالة أرسلها الشريف حسين، وآخرها رسالته في ١٠ آذار عام (١٩١٦م) وكان مكماهون يرد على هذه الرسائل الخمس ويتبين

فيها أن بريطانيا قطعت على نفسها وعداً صريحاً بتحقيق استقلال المنطقة العربية وفق الحدود الواردة في ميثاق دمشق مع بعض التحفظ و الآراء المطاطة القابلة للتفسير فيما يتعلق بالمناطق الساحلية من بلاد الشام، وهي المناطق الغربية لولايات(دمشق الشام وحمص، وحماة، وحلب) بزعم أنها ليست عربية خالصة.

وعلى أية حال فإن هذه الاستثناءات كانت قابلة للتسوية بعد الحرب حسبما ذكرته إحدى رسائل مكماهون. وفي ضوء هذه الوعود القاطعة التي قدمها البريطانيون للشريف حسين قرر إعلان الثورة على الأتراك العثمانيين، إلا أنه لم يكن يعلم أن بريطانيا مع فرنسا كانتا قد اتفقتا سراً على تقسيم العراق وبلاد الشام بينهما ونقض الوعود البريطانية للعرب.

٦-اتفاقية سايكس بيكو ووعد بالفور:

عندما كانت مراسلات حسين مكماهون تجري بين الطرفين خلال الفترة تموز ـ عام (١٩١٥م) ـ آذار ـ (١٩١٦م)،كان جمال باشا السفاح يعتقل القادة العرب القوميين ويصدر أحكام الإعدام عليهم والتي نفذت أول دفعةٍ منها في بيروت يوم ٢١ آب (١٩١٥م) بتهمة العمل على استقلال العرب، والاتصال بقوى أجنبية هي بريطانيا. عندما كان كل هذا يجري في الأرض العربية، كانت بريطانيا تنسق سراً مع فرنسا باتجاه آخر يناقض وعودها إلى العرب حينما وقعت مع فرنسا وروسيا المعاهدة السرية المعروفة باتفاقية سايكس بيكو يوم ١٦ مايس / أيار ـ (١٩١٦م)، والتي اتفق فيها الأطراف الثلاثة على تقسيم المشرق العربي (العراق، وبلاد الشام) بين بريطانيا و فرنسا، وذلك بأن تحصل فرنسا على القسم الأعظم من بلاد الشام، وعلى قسم صغير من جنوب تركيا، إضافة إلى منطقة ولاية الموصل شمال العراق.

أما بريطانيا فتحصل على القسم المتبقي من العراق الذي يشمل ولايتي بغداد والبصرة إضافة إلى المنطقة المحصورة من الخليج العربي عبر العراق باتجاه شرقي الأردن، وأن تصبح فلسطين تحت إدارة دولية، وذلك بسبب التنافس عليها بين فرنسا وبريطانيا. ولما كان الصهاينة اليهود يفضلون بريطانيا فإن فلسطين قد أصبحت تحت السيطرة البريطانيه المباشرة. وحُدِدَتْ مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية على خارطة ملونة تبين نفوذ كل دولة منهما.

ثم تمت بعد ذلك تسوية ملابسات اتفاقية (سايكس بيكو) في مؤتمر (سان ريمو) الذي عقد عام (١٩٢٠م) وتم بموجبه الاتفاق على أن تصبح الولايات الثلاث الموصل وبغداد والبصرة تحت الانتداب البريطاني مقابل تعويض فرنسا بحصة من نفط الموصل. وأصبحت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

أما فلسطين فأصبحت تحت الانتداب البريطاني على أن تعمل الحكومة البريطانية على تنفيذ وعدها لليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين والمعروف باسم (وعد بلفور) وزير خارجية بريطانية الذي صدر في ٢ تشرين الثاني عام (١٩١٧م) والذي جاء فيه: ((إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنيه والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى)).

لقد تم إصدار هذا الوعد عندما كان العرب يقاتلون جنبا إلى جنب مع البريطانيين في ثورتهم ضد الأتراك العثمانيين من أجل تحقيق استقلالهم، وإقامة دولتهم الموحدة التي تضم فلسطين حسب اتفاقهم معهم، و بذلك أصبحت اتفاقية (سايكس بيكو) و تعديلاتها في مؤ تمر سان ريمو، و(وعد بلفور) الأساس الذي سارت عليه بريطانيا بعد الحرب؛ إذْ إنها كانت تخفي ما لا تظهر في تعاملها مع العرب، فكانت وعوداً كاذبة و خُدعةً سياسية غير أخلاقية قام بها البريطانيون ضد مستقبل العرب، وأملهم في قيام دولة عربية موحدة مستقلة في الجزيرة العربية والعراق و بلاد الشام تكون البداية لدولة عربية موحدة تضم الوطن العربي كله.

٧- الثوره العربية عام (١٩١٦م):

في أوائل عام (١٩١٦م) أرسل الشريف حسين ولده الأمير فيصل مع خمسين رجلا مسلحا إلى دمشق لإعلان الثورة فيها حال قيامها في الحجاز، بعد أن قرر الشريف حسين القيام بالثورة في ضوء ميثاق دمشق و مراسلاته مع مكماهن. ولكي يموه فيصل الأمر على الأتراك فقد ادعى أن هؤلاء الرجال الخمسين هم طلائع قوات المجاهدين التي يجري إعدادها في الحجاز للتعاون مع الأتراك.

عندما وصل الأمير فيصل إلى دمشق، وجد أن كثيراً من الأمور قد تغيرت فقد تم نقل الفرق العسكرية العربية وحلت محلها فرق مؤلفة من الجنود الأتراك. وكان هذا يعني أن الكثير من أعضاء جمعية العهد من الضباط العرب قد أصبحوا خارج بلاد الشام، كما نفي مئات من الرجال المدنيين البارزين إلى أماكن نائية من الأناضول. وكان ذلك جزءاً من حملة إرهاب عامة، شنها الوالي التركي جمال السفاح ضد المناضلين العرب بلغت أوجها بشنق عدد منهم في ٢١ آب عام (١٩١٥م) بينما كان عدد أخر يخضع لمحاكمات قاسيه في مدينة عالية. أضف إلى ذلك أن المجاعة بدأت تظهر في بلاد الشام، واستفحلت بشكل خاص في لبنان، فانشغل الناس بها عن الثورة و قضاياها القومية.

حاول الأمير فيصل الحصول على عفو عام من جمال السفاح عن القادة العرب الذين كانوا يحاكمون، إلا أن السفاح رفض ذلك. وفي فجر يوم ٦ أيار عام (١٩١٦م) تم تنفيذ حكم الإعدام بمجموعه جديدة من القادة العرب، حيث أُعدِمَ سبعة منهم في ساحة المرجة بدمشق، و أربعة عشر آخرون في ساحة البرج في بيروت. . وفي اليوم نفسه كان الأمير فيصل يتناول إفطاره في مزرعة مضيفيه من آل البكري، فجاءهم رسول و أبلغهم النبأ، و قدم إليهم العدد الخاص من جريدة (الشرق) الذي تضمن الخبر المفجع، فأصيب الحاضرون بذعر فادح وقرؤوا سورة الفاتحة، وانتزع الأمير فيصل الكوفية من على رأسه وداسها بعنف و صاح (طاب الموت يا عرب).

حفزت أنباء تنفيذ حكم الإعدام الشريف حسين على العمل فوراً للقيام بالثورة و تلقى فيصل أمراً من والده بالعودة منبئا إياه بقرب قيام الثورة، فعاد إلى الحجاز. وفي ١٠ حزيران عام (١٩١٦م) أعلن الشريف حسين قيام الثورة بإطلاقه رصاصة من قصره على ثكنات الجيش التركي، ثم أذاع (منشور الثورة) الذي هاجم فيه (جمعية الاتحاد والترقي) ودعا المسلمين إلى الثورة، و الجهاد ضد تركيا. وكان للشعراء العرب دورهم في الدعوة للانضمام إلى الثورة، وإثارة الحماسة بين الثوار فقد كتب الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي وكان مقيما في مصر، قصيدة جاء فيها:

سيروا نذب عن الحمى ونرد عنه المستبدا

نحمي حمى أوطاننا ونصونها غورا ونجدا
إن لم تكن تجدي الحياة بعزها فالموت أجدى

وكتب فؤاد الخطيب الملقب بشاعر الثورة منشدا:

إيه بني العرب الأحرار إن لكم فجرا أطل على الأكوان مبتسما
من ذلك البيت من تلك البطاح على تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
إلى الشآم إلى أرضُ العراق إلى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

وحال قيام الثورة التحق بها الضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني وأخذوا يضعون الخطط العسكرية، و ينظمون قوات الثورة وكان من بينهم ضباط عراقيون، وسوريون، وفلسطينيون، ولبنانيون، وحجازيون، ومصريون.

سيطرت قوات الثورة على الحجاز كاملة عدا المدينة المنورة واستطاعت إحباط حملة تركية المانية للسيطرة على عدن، والبحر الأحمر، ونودي بالشريف حسين ملكاً على (البلاد العربية) إلا أن بريطانيا وفرنسا اعترفت به (ملكاً على الحجاز) خشيةَ المشاكل التي قد تقع مع الحكام العرب الآخرين.

قسم الشريف حسين قواته إلى أربعة جيوش وعين على كل واحد منها أحد أبنائه الأربعة. وقد تولى الأمير فيصل الجيش المتوجه نحو دمشق، وهو جيش الشمال الذي تمكن من تحقيق انتصارات عديدة على القوات التركية، التي كانت تنسحب أمامه إلى أن دخل دمشق في الأول من تشرين الأول عام (١٩١٨م).

وبعده بيومين دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي دمشق الذي كان قد احتل فلسطين.

كانت التعليمات التي يحملها الجنرال البريطاني اللنبي تطلب منه كبح جماح العرب عند الاستيلاء على دمشق، وأن يضع في حسابه اتفاقية (سايكس بيكو) السرية وأن يتصرف في ضوئها. ولذلك وعندما التقاه فيصل أخبره اللنبي صراحة أن فرنسا هي الدولة التي ستتولى الحماية على سوريا وأنه سيتولى، أي: الأمير فيصل حكم بلاد الشام ما عدا فلسطين ولبنان وبإشراف فرنسي، وأن السيادة العربية

ستقتصر على سوريا الداخلية فقط ولن يكون له أي علاقة بلبنان أو فلسطين. وعلى الرغم من اعتراضِ الأمير فيصل على هذا التقسيم الذي يتنافى مع اتفاقهم مع الإنكليز إلا أن اللنبي أخبره أن عليه أن يقبل بهذا الواقع إلى أن يتم تسوية القضية بكاملها بعد أن تضع الحرب أوزارها.

لقد كان الضابط البريطاني لورنس يترجم الكلام المتبادل بين فيصل واللنبي وأظهر أنه لا يعلم بهذه التعليمات، ولكنه في الحقيقة كان يكذب خوفاً من فقدان ثقة فيصل به الذي رافقه في تقدمه نحو دمشق. والدليل على كذب لورنس هو تقرير سري كتبه لورنس بنفسه في كانون الثاني عام (١٩١٦م) بعنوان (سياسة مكة) عندما كان ملازماً ثانياً ملحقاً بالمخابرات البريطانية في القاهرة ويتعلق التقرير برأيه في ثورة العرب حيث قال: "إن نشاط (الحسين) يبدو مفيداً لنا؛ لأنه ينسجم مع أهدافنا المباشرة وهي تفكيك الرابطة الإسلامية وهزيمة الإمبراطورية العثمانية وتمزيقها، ولأن الدول التي سننشئها لتخلف الأتراك لن تشكل خطراً علينا مثلما كانت تركيا عليه قبل أن تصبح أداة بيد الألمان... بل حتى إن العرب أقل ثباتاً من الأتراك، فإذا تمكنا من التحكم بهم بشكل مناسب فإنهم سيبقون منقسمين سياسياً إلى دويلات تغار من بعضها البعض، ولا يمكنها أن تتحد على الرغم من أنها ستكون مستعدة لأَنْ تتجمع لمقاومة أي قوة خارجية تهددها... إن البديل لهذه السياسة يعني قيام دولة أوربية غير بريطانيا بالسيطرة على العرب واستعمارهم، الأمر الذي يتعارض مع مصالحنا التي نمتلكها في الشرق الأوسط)).

لقد كان هذا يعني أن العرب لن يحققوا أهدافهم وفق ميثاق دمشق، ولن يحصلوا على الفتات الذي سيقدمه لهم الحلفاء وفقاً لمصالحهم الاستعمارية التي عبرت عنها اتفاقية (سايكس بيكو) و(وعد بلفور) ضاربين عَرْضَ الحائط كل الوعود والبيانات التي التزموا بها.

قيام الحكومة العربية في دمشق:

بعد دخول جيش الأمير فيصل إلى دمشق، اتجهت إلى شمالها فحررت حمص وحماه وحلب، بينما استمر الزحف الساحلي الذي بدأ من حيفا وعكا إلى صور وصيدا وبيروت وطرابلس، فاستكملت القوات العربية تحريرها لبلاد الشام وشكل

فيصل (حكومة عربية) في دمشق ورفع علم الثورة العربية على المدن السورية واللبنانية، وبدأ إعلان الحكومة العربية في دمشق وكأنه تحقيق لآمال العرب في الاستقلال والوحدة، وقد تكونت الحكومة العربية من سورين وعراقيين وفلسطينيين ولبنانيين وبدأت عملها كنواة لدولة الوحدة العربية وفقاً لميثاق دمشق، ولذلك لم يطلقوا على حكومة فيصل اسم الحكومة السورية وإنما الحكومة العربية في دمشق.

لقد كانت فرحة العرب كبيرة بقيام الحكومة العربية بدمشق،وقد عبر عن هذه الفرحة الشاعر خليل مردم في قصيدته (الفتح العربي) حين شبه دخول الجيش العربي إلى دمشق بقيادة الأمير فيصل بن الحسين،بانتصار المعتصم في عمورية. ومما جاء في قصيدته:-

مالي أرى القوم بعد الحزن في طرب هل عاد سالف مجد العُربِ للعَرَبِ

لله جيش أمين الله منتصرا يدني جيوش العدا من مورد العطب

وأنشد أبو الفضل الوليد من المهجر قائلا:

الله أكبر عادت دولة العرب بشرى لهارون والمأمون في الترب

دمشق حنت إلى بغداد واضطربت مصر التي هي دار العلم والأدب

إلا ان هذه الفرحة عام (١٩١٨م) لم تدم طويلاً، فقد تسربت أنباء اتفاقية (سايكس بيكو) و(وعد بلفور) إلى رجالات العرب، فطالبوا بريطانيا بتوضيحات فأكدت موقفها في تحقيق أمال العرب في الحرية والاستقلال، ولكن المعلومات بدأت تتأكد عندما حاول الفرنسيون إنزال العلم العربي في بيروت.

وفي تشرين الثاني عام (١٩١٨م)، وبعد تأسيس الحكومة العربية سافر فيصل إلى بريطانيا، ومنها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح الذي افتتح في ١٨ كانون الثاني عام (١٩١٩م). وقد ألقى الملك فيصل خطاباً استهجن فيه بلطف وصراحة اتفاقية (سايكس بيكو) وبسط مطالب العرب في الوحدة والاستقلال مؤكداً بالقول ـ عندما قاطعه أحد الحاضرين مشيراً إلى أن العرب غير متقدمين حضارياً ـ: ((إنني أنتمي إلى شعب يتمتع بالحضارة عندما كانت جميع البلاد الأخرى، التي يجلس ممثلوها في هذه القاعة مسكونة بالبرابرة)).

قدم فيصل مذكرة إلى مؤتمر الصلح تحدث فيها عن حركة القومية العربية وهدفها في توحيد العرب، وعبر عن أمله في أن تجد الدول الوسائل الكفيلة التي تحقق هذا الهدف، وذكر أن بلاد الشام متقدمة سياسياً بما يمكنها من إدارة شؤونها الداخلية بنفسها، كما طالب بتشكيل حكومة عربية في العراق.

الانتداب الفرنسي على سوريا:

لم يأت حضور فيصل لمؤتمر الصلح بنتائج إيجابية تذكر، ذلك بأن رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) ورئيس وزراء فرنسا (كليمنصو) اتفقا على تعديل اتفاقية (سايكس بيكو) لتصبح سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي مقابل ضم ولاية الموصل إلى العراق الذي يصبح هو وفلسطين تحت الانتداب البريطاني.

وقد جاء هذا التقسيم في ضوء قرار مؤتمر الصلح في ٣٠ كانون الثاني عام (١٩١٩م) بفصل العراق وسوريا وفلسطين ولبنان عن تركيا على أن تكون هذه المناطق تحت انتداب دوله كبرى باسم عصبة الأمم وفقاً لميثاقها الذي نصت المادة (٢٢) منه على فرض نظام الانتداب ((عصبة الأمم تم تأسيسها في مؤتمر الصلح بعد انتهاء الحرب)).

قرر القادة العرب عقد مؤتمر في شهر حزيران عام (١٩١٩م) نتيجة لهذه التطورات الخطيرة، وأعلنوا تمسكهم باستقلال بلاد الشام وعدم تجزِئَتِها، وإلغاء اتفاقية (سايكس بيكو) و(وعد بلفور)، وإعلان استقلال العراق التام وتنصيب الأمير فيصل ملكاً على سوريا، وأن تكون الحكومة في العراق وسوريا لا مركزية.

في ٢٥ نيسان عام (١٩٢٠م) عقدت عصبة الأمم مؤتمر سان ريمو الذي تقرر فيه رسمياً فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على العراق وفلسطين على أن ينفذ وعد بلفور في فلسطين. وهكذا نفذ البريطانيون والفرنسيون مشروعهم في تجزئة العرب.

وقد عبر الشعراء العرب عن خيبة أملهم الكبيرة، فكتب الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي قائلا:

وما أَنا في أرض الشآم بمُشْئِمٍ وما أنا في أرض العراق بمعرق

هـمـا وطـن فـرد وقـد فـرقـوهـمـا رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

واستغرب الشاعر خير الدين الزركلي من سكوت العرب على هذا الغدر البريطاني ونكثهم بالوعود فقال:

فـيـم الـونـى وديـار الـشـام تـقـتـسـم أيـن الـعـهـود الـتي لـم تـرع والـذمـم

مـا بـال بـغـدادَ لـم تَـنْـبِسْ بـهـا شَـفَـةٌ ومـا لـبـيـروت لـم يـخـفـق بـهـا عـلـم

الاحتلال الفرنسي لسوريا والمقاومة:

كان إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان هو بداية النهاية للحكومة العربية في دمشق ففي أوائل تموز من عام (١٩٢٠م) وجه الجنرال الفرنسي غورو الذي كان يحتل الساحل السوري، إنذاراً إلى الملك فيصل بقبول الانتداب الفرنسي بلا قيد ولا شرط وحل حكومة (هاشم الأتاسي) وهي الوزارة الثانية في عهد حكم الملك فيصل بعد تتويجه في ٢٨ آذار عام (١٩٢٠م).

قبل الملك فيصل إنذار غورو لأنه كان يعلم باستحالة تحقيق الانتصار على الجيش الفرنسي المدجج بالأسلحة الحديثة، خاصة وأن القادة العسكريين قد أجمعوا على ذلك، إلا أن المؤتمر السوري المنتخب رفض قرار الملك فيصل وقامت في دمشق انتفاضة جماهيرية تهتف بسقوط وزارة الأناسي متهمة إياها بالخيانة وهتف البعض ضد الملك فيصل نفسه.

وفي ٢١ تموز فوجئ الملك فيصل بخبر زحف القوات الفرنسية نحو دمشق وقد علم فيما بعد أن قبوله إنذار غورو الذي أرسله بالأمس لم يصل إلى غورو في الوقت المحدد بل تأخر نصف ساعة بسبب قطع خطوط التلغراف.

حاول فيصل بواسطة مندوبيه وقف زحف غورو إلا أن الأخير كان مصمماً على احتلال سوريا بالقتال بأية حجة كانت.

استدعى الملك فيصل الشيخ القصاب، وهو أحد قادة الانتفاضة، وأخبره أنه اتخذ قراراً بالقتال، ثم ذهب الملك فيصل إلى الجامع الأموي وخطب في الناس قائلاً:

((أردت أن أرد عنكم زحف جيش الأعداء بإجابة مطالبهم فلم يرتدوا، فإن كنتم في حاجة إلى بلدكم فاخرجوا للدفاع عنه)).

قرر يوسف العظمة القائم بأعمال الوزارة الحربية في حكومة الملك فيصل التوجه إلى ميسلون على رأس القوات العربية لمقاومة الفرنسيين ولم تكن معركة ميسلون، التي وقعت في الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٤ تموز عام (١٩٢٠م) واستمرت إلى الظهيرة، معركة بمعنى المعركة بل كانت أشبه بمذبحة، فقد كان لدى القوات الفرنسية عشر طائرات والكثير من الدبابات والمدافع مقابل ثلاثة آلالف مقاتل عربي بعضهم من الجنود النظاميين والباقي من المتطوعين. ومع ذلك أبدى العرب استبسالا وصمودا رائعا. وقد كان لاستشهاد يوسف العظمة أثناء القتال أثره في انسحاب جنوده نحو دمشق، فدخلها الجيش الفرنسي المحتل، وأنذر الفرنسيون الملك فيصل بمغادرة البلاد خلال يومين. وفي ٢٨ تموز عام (١٩٢٠م)، غادر دمشق بالقطار إلى درعا وحيفا، ثم أبحر من هناك إلى أوربا.

فرضت القوات الفرنسية المحتلة الأحكام العرفية على البلاد وأعدمت عدداً من الوطنيين، وفرضت اللغة الفرنسية في الإدارات والمحاكم وأعلنت تجزئة سوريا ولبنان إلى دولتين منفصلتين، وأصبحت سوريا تحت حكم المندوب السامي الفرنسي، فاحتل الفرنسيون الإدارات والوظائف، وأثاروا النعرات الطائفية والإقليمية وخنقوا الحريات وحاربوا الصناعة الوطنية، وربطوا العملة بالفرنك الفرنسي.

بدأت المقاومة السورية ضد احتلال الشام في عديد من المناطق مثل حركة الشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية، وحركة إبراهيم هنانو في حلب، وحركات أخرى في الفرات وحماه وغيرها. ولقد مهدت هذه الحركات لثورة سوريا الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي عام (١٩٢٥م) التي استمرت لسنتين وكانت أهدافها: .

. قيام دولة عربية موحدة في بلاد الشام.

. وضع دستور للبلاد يحقق السيادة العربية.

. تشكيل جيش وطني لحماية الوطن وسحب قوات الاحتلال.

. ضمان حقوق الإنسان في الحرية والإخاء والمساواة.

وأنضمَّ إلى الثورة رجال الجمعيات العربية من فلسطين العهد، والجمعية العربية الفتاة، وحزب الاستقلال، وشخصيات وطنية وقومية عدا فلسطين. أيَّدَها القادةُ العرب في العراق ومصر ولبنان وفلسطين.

امتدت الثورة إلى العديد من مناطق البلاد، حتى إن سلطة الفرنسيين انحصرت في أطراف دمشق فقط بينما انتفضت الأحياء الأخرى من المدينة مشاركة في الثورة، فاستخدم الفرنسيون أسلحتهم بوحشية وقسوة وألقوا القنابل على القرى والمدن ومارسوا الإبادة الجماعية، وقطعوا الأشجار والمياه، فأخمدوا الثورة، لكن العرب في سوريا استمروا في كفاحهم من أجل الاستقلال الذي أعلن في ٨ حزيران عام (١٩٤١م). إلا أن الفرنسيين لم ينفذوه بادعاء أن ظروف الحرب العالمية الثانية لا تسمح بذلك، فانتفض الشعب العربي في سوريا حتى نالوا الاستقلال في ١٧ آب عام (١٩٤٣م) حين دعي المجلس النيابي للاجتماع واختار أول رئيس لدولة سوريا هو شكري القوتلي لكن الفرنسيين رفضوا تسليم القيادة العسكرية للسوريين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥م)، فانفجرت الثورة من جديد في سوريا ولكن القوات الفرنسية جابهت السوريين بوحشية وقصفت دمشق بالمدفعية والطائرات ودفنت الجنود أحياءً وأحرقت المتاجر والأحياء السكنية، فاحتجت دول العالم وعقد مؤتمر باريس الذي تقرر فيه جلاء القوات الأجنبية عن سوريا في ١٧نيسان عام (١٩٤٦م) وإعلان استقلالها.

٨- لبنان:

أصبحت لبنان وفقاً لبروتوكول أو دستور عام (١٨٦٤م) متصرفية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي في ظل الدولة العثمانية التي كانت تدير شؤونها المالية والسياسية مركزياً.

واستمر عهد المتصرفية حوالي نصف قرن أي إلى الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م)، إلا أن الأوضاع المعاشية كانت صعبة في لبنان خلال هذه الفترة فهجره الكثير من اللبنانيين لأسباب اقتصادية وسياسية إلى مصر والسودان وأمريكا.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى زادت الأمور الاقتصادية سوءاً لانقطاع أموال المهجر، وفي الوقت نفسه تنامَى الوعيُ القوميُّ بشكل واسع وأصبح اللبنانيون جزءاً مهماً من الحركة السياسية العربية المطالبة بحقوق العرب واستقلالهم، مما أدى إلى اضطهادهم من قبل الأتراك العثمانيين خصوصا عندما تم تعيين جمال باشا السفاح حاكماً على بلاد الشام مع اندلاع الحرب العالمية

الأولى، فقام بإلغاء منصب متصرف لبنان، واتَّبَعَ سياسة البطش والاستبداد وأرسل السياسيين والمفكرين من العرب القوميين إلى خطوط النار، وألقى بالعديد منهم في المعتقلات والسجون وتشرد الكثير منهم، وفي فجر يوم ٢١ آب عام (١٩١٥م) أعدم جمال باشا السفاح أول كوكبة من السياسيين والمفكرين العرب في ساحة البرج (الحرية) ببيروت، أعقبها إعدام كوكبةٍ أخرى في ساحة المرجة بدمشق فجر يوم ٦ أيار (١٩١٦م) وصدرت على خمسة وأربعين آخرين أحكام غيابية بالإعدام.

وعندما انتصرت الثورة العربية ودخلت جيوشها دمشق بعد انسحاب الأتراك العثمانيين منها وأقام الأمير فيصل الحكومة العربية فيها، أرسل الأمير فيصل القائد شكري باشا الأيوبي، الذي كان قد أجل تنفيذ حكم الإعدام فيه أيام جمال السفاح وأصبح أحد قادة الجيش العربي في الثورة، أرسله الأمير فيصل إلى بيروت ليكون حاكماً عاماً على لبنان، وعين عمر الداعوق حاكماً على بيروت، وحبيب باشا السعد حاكما على جبل لبنان، وقد أدى السعد يمين الإخلاص، ورفع العلم العربي ببيروت في ٦ تشرين الأول / أكتوبر عام (١٩١٨م).

كان لا بد من تنفيذ اتفاقية (سايكس بيكو) السرية، لذلك لم تتأخر فرنسا في إجهاض الحكم المَحَلِّي في لبنان و سوريا، فتقدمت القوات الفرنسية إلى بيروت واحتلتها وانسحب الجيش العربي منها بعد وصولهم من دون قتال، وأصبح جورج بيكو مفوضاً فرنسياً سامياً في لبنان يتمتع بصلاحيات سياسية وإدارية واسعة. وتم تعيين حاكم عسكري على المنطقة الغربية مقره بيروت، وبقي حبيب أسعد رئيس مجلس الإدارة المحلي. وهذا يعني اعتراف فرنسي بسلطة الحكومة العربية في دمشق على لبنان، ولكن الفرنسيين قاموا في الوقت نفسه بتأليب الموالين لهم من اللبنانيين وحثهم على المطالبة بانفصال لبنان وإنهاء نفوذ الأمير فيصل وحكومته العربية فيه، وتم تشكيل وفد إلى باريس في كانون الأول عام (١٩١٨م) طالب باستقلال لبنان.

وعندما عاد الأمير فيصل من مؤتمر باريس إلى دمشق مروراً ببيروت في ربيع عام (١٩١٩م) أعد له الفرنسيون تظاهرة تطالب باستقلال لبنان، وأرسلوا وفداً جديداً على ظهر بارجة حربية فرنسية إلى باريس يطالب باستقلال لبنان برعاية

فرنسية. وقدم الوفد مذكرة بهذا الشأن إلى رئيس وزراء فرنسا (جورج كليمنصو) الذي كان هو وحكومته وراء فكرة استقلال لبنان. وفي ٨ آذار / مارس عام (١٩٢٠م) أنعقد المؤتمر السوري العام وأصدر قراراته بالإصرار على وحدة بلاد الشام واستقلالها.

وعندما صدر قرار مؤتمر (سان ريمو) لتنفيذ اتفاقية (سايكس بيكو) مع بعض التعديلات، أعلن الحاكم العسكري للبنان الجنرال غورو في أيلول (١٩٢٠م) قيام (دولة لبنان الكبير) وتشمل متصرفية جيل لبنان، وولاية صيدا في الجنوب، وولاية طرابلس في الشمال، وولاية بيروت في الوسط، وقسم من قضاء عكا، وقسم من قضاء حصن الأكراد، وأربعة أقضية كانت تابعة لولاية سوريا وهي من الشمال إلى الجنوب بعلبك، والبقاع، وراشيا، وحاصبيا، وجعل الجنرال غورو حدود الدولة ممتدة من النهر الكبير في الشمال إلى رأس الناقورة في الجنوب، ومن ساحل البحر المتوسط إلى قمم جبال لبنان الشرقية.

لقي هذا القرار معارضة شديدة من قبل اللبنانيين المؤمنين بوحدة لبنان مع سوريا ولذلك طالبت أقضية صيدا، وبيروت، وطرابلس، والبقاع الانضمام للوحدة مع سوريا، ولكن الفرنسيين قطعوا الطريق على مثل هذه التوجهات عندما غزا غورو سوريا وأسقط الحكومة العربية والملك فيصل الأول واحتلها احتلال عسكرياً مباشراً.

رسخت فرنسا سياسة الطائفية والعنصرية لتمزيق وحدة الشعب العربي في لبنان، ومع ذلك قامت الثورات فيها ضدهم واحدة بعد الأخرى، ومن أشهرها ثورة عام (١٩٢٠م) في جبل عامل التي واجهها الفرنسيون بشراسة وقضوا عليها، إضافة إلى ثورات أخرى في العديد من مناطق لبنان.

وفي عام (١٩٢٢م) أوجد الفرنسيون مجلساً تمثيلياً منتخبا، وتعاقب على حكم لبنان عدة جنرالات فرنسيين بعد غورو ومنهم الجنرال سراي الذي أوجد في عام (١٩٢٥م) مجلساً نيابياً منتخبا في لبنان، لكن الحكم الحقيقي بقي في يد الفرنسيين وأخيراً اضطر الفرنسيون إلى إعطاء لبنان دستوراً في أيار عام (١٩٢٦م) وأصبح للبنان بموجبه مجلسان؛ للشيوخ وللنواب، وقد قام هذان المجلسان بانتخاب شارل دباس أول رئيس لجمهورية لبنان في ٢٦ أيار عام (١٩٢٦م)، ولكن هذا الرئيس ومن أعقبوه كانوا أداة طيعة بيد المحتلين الفرنسيين.

وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ ١٩٤٥م) أزداد الطغيان الفرنسي في لبنان وتأثر باحتلال ألمانيا لفرنسا وقيام حكومة فيشي، ولكن الصراع بين هذه الحكومة والديغوليين المقاومين للاحتلال الألماني جعل لبنان ساحة حرب، وقد تمكن رئيس الجمهورية الفرد نقاش في الحصول على موافقة الفريقين اعتبار بيروت مدينة مفتوحة ودارت معارك أدت إلى دخول الديغوليين(قوات فرنسا الحرة)والقوات البريطانية بيروت فانتقل الحكم والسيطرة العسكرية إلى الديغوليين الذي وعدوا لبنان وسوريا في بيانهم الأول بالاستقلال.

طالب اللبنانيون بتعديل الدستور وجعل الوجود الفرنسي في كل من لبنان وسوريا بشكل تمثيل دبلوماسي من أجل نيل الاستقلال فتلكأ الفرنسيون،ولكن اللبنانيين وقادتهم أصروا على موقفهم وجرى انتخاب مجلس نيابي جديد، وانتخب الشيخ بشارة الخوري في ٢١ أيلول (١٩٤٣م) رئيساً للبلاد، وتألفت حكومة لبنانية برئاسة رياض يصلح، وبدأت الحكومة اللبنانية بممارسة صلاحياتها الاستقلالية، وعدلت الدستور لتأكيد الاستقلال الناجز، فاعترض المندوب السامي الفرنسي، ولكن المجلس النيابي صادق على التعديل الدستوري. وبالمقابل أصدر المندوب السامي الفرنسي أمراً بتعليق الدستور المعدل،واعتقل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وبعض الوزراء والزعماء الوطنيين، فاعتصم رئيس مجلس النواب وبعض النواب في رئاسة الجمهورية،وخرجت التظاهرات الغاضبة ومنع جنود فرنسا النواب الآخرين من الدخول، فاجتمع النواب في منزل صائب سلام، ومن ثم انتقلوا إلى قرية صغيرة قريبة من بيروت تخلصاً من الاعتقال الفرنسي، وألّفُوا حكومة ورفعوا علماً لبنانياً جديداً يرمز لوحدة لبنان، وتصاعد غضب المتظاهرين في لبنان وتحول إلى ثورة وحدت اللبنانيين، وشارك فيها الطلاب العرب، ووقف الشعب العربي في الوطن العربي إلى جانب اللبنانيين خصوصاً في العراق، وسوريا، وفلسطين، ومصر وغيرها.فأصبح الفرنسيون أمام الأمر الواقع وهم يتعرضون لضغوط دولية فأعادوا الحكومة اللبنانية في ٢٢ تشرين الثاني عام (١٩٤٣م) ليصبح هذا اليوم عيداً لاستقلال لبنان. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥م) أصبح لبنان عضواً في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

٩- فلسطين:

مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث واحتلالها:

في ٢٩ آب عام (١٨٩٧م) عقد في مدينة (بازل) بسويسرا أول مؤتمر صهيوني وضعت فيه أهداف الحركة الصهيونية، وقام بتنظيم المؤتمر اليهودي الصهيوني تيودور هرتزل الذي أقر أن تكون فلسطين مكاناً لإسكان اليهود في العالم على الرغم من أن فلسطين أرضٌ مأهولةٌ بسكانها العرب منذ آلاف السنين، ومع مطلع القرن العشرين تزايدت الهجرات اليهودية تحت إشراف زعماء الحركة الصهيونية، ومنهم الثري البريطاني اللورد روتشيلد، والأستاذ الجامعي الدكتور حاييم وايزمن البولوني الأصل اللذان سعيا وغيرهما من الصهاينة إلى إقناع الحكومة البريطانية باتخاذ خطوات عملية لتحقيق المشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية في فلسطين العربية. وقادوا حملة صحفية ونشروا الكتب، ووزعوا النشرات وكثفوا اتصالاتهم بالسياسيين وغيرهم، واستخدموا الأموال لتحقيق أهدافهم. فكان لهذا أثره في تقسيم الحصص بين الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، فبينما كانت بريطانيا تفاوض العرب المطالبين بدولة عربية موحدة مستقلة في الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام، عملت في الوقت نفسه على الاتفاق مع فرنسا لتقسيم هذه المنطقة بينهما، واعتبرت فلسطين وفقاً لإتفاقية (سايكس بيكو)، منطقة توضع تحت الإشراف الدولي بعد الحرب لكونها (مقدسة)، كذلك جرت مفاوضات بين الصهاينة والإنكليز على إقامة وطن (قومي) لليهود في فلسطين، فصدر (وعد بلفور) بشكل رسالة موجهة من وزير خارجية بريطانيا جيمس بلفور إلى اللورد الثري اليهودي روتشيلد في ٢ تشرين الثاني عام (١٩١٧م) تتعهد فيه بريطانيا بإقامة (وطن قومي) لليهود في فلسطين. ومن أجل تنفيذ هذا الوعد، تقرر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وذلك في مؤتمر (سان ريمو) عام (١٩٢٠م). من جانب آخر احتل البريطانيون فلسطين خلال الثورة العربية حينما دخلها الجنرال اللنبي في أواخر عام (١٩١٧م) ليبدأ تطبيق (وعد بلفور) من خلال الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين.

فقد وصل إلى فلسطين فريق بريطاني أمريكي، إيطالي، صهيوني برئاسة (وايزمن) لوضع مخطط استلاب فلسطين، وكانت الخطوة الأولى تعيين اليهودي

البريطاني السير هربرت صموئيل مندوباً بريطانياً سامياً على فلسطين ليقود سلطة الانتداب البريطاني، وليلعب دوراً فاعلاً في تنفيذ (وعد بلفور)، وقام بتشكيل مجلس استشاري من أهالي فلسطين مكون من (٣٠) مقعداً عين فيه (٢٣) يهودياً بينما جعل للعرب المسلمين (٧) مقاعد فقط مع أنهم يشكلون ٩٥٪ من سكان فلسطين، وعمل صموئيل على تشجيع المهاجرين اليهود وتقديم الامتيازات لهم في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة، واستقبال أعداد جديدة من المهاجرين اليهود، وفتح المدارس الخاصة بهم وبناء المستعمرات الصهيونية.

بدأ العرب يتحركون سياسياً ضد المخططات الصهيونية منذ صدور (وعد بلفور)، بل ان فلسطين شهدت انتفاضات فلاحية عديدة ومقاومة ضد الهجرات الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وعندما وجدت سلطة الانتداب البريطاني العرب في فلسطين مستعدين لحمل سلاحهم ضد المهاجرين الصهاينة سمحت للصهاينة بتشكيل منظمات إرهابية عسكرية وأمدتهم بالسلاح وسمحت لهم بالتدريب.

المقاومة:

في تموز عام (١٩١٩م) انعقد المؤتمر السوري في دمشق وضم ممثلين من بلاد الشام بما فيها فلسطين، واتخذ المؤتمر قرارات مهمة من بينها:

((رفض الوطن القومي الصهيوني في فلسطين، ورفض المعاهدات والوعود المتعلقة بمصير البلاد، واستقلال العراق، واستبعاد الحواجز الاقتصادية بينه وبين سوريا)).

ثانياً: شهر كانون الأول من عام (١٩١٩م) عقد مؤتمر القدس القومي ووضع ميثاقاً لتحرك عربي مشترك كان من أهم بنوده:

((أولاً: رفض وعد بلفور والهجرة الصهيونية والانتداب الانجليزي.

ثانياً: اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا، وتسميتها سوريا الجنوبية والمطالبة بوحدة بلاد الشام.

ثالثا: استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية)).

انتفاضات وثوراتطة الانتداب البريطاني ضد التحركات العربية الفلسطينية وكفاحهم من أجل منع تنفيذ (وعد بلفور). فتصاعد السخط الشعبي ضد البريطانيين والصهاينة وشهدت فلسطين انتفاضات وثورات متتالية منذ عام (١٩٢٠م).

ففي مطلع شهر نيسان من عام (١٩٢٠م) انتفض عرب القدس مطالبين باستقلال فلسطين ووحدتها مع سوريا، واصطدموا بالمستوطنين اليهود الصهاينة وسقط شهداء وجرحى كما قتل العديد من الصهاينة. فأعقب ذلك تظاهرات ضخمة عربية نادت بسقوط الصهيونية والانتداب البريطاني. وألقت السلطات البريطانية بقادة التظاهرة أو الانتفاضة في السجون. وفي عام (١٩٢١م) قامت ثورات عديدة في المناطق الفلسطينية ومنها مدينة يافا. وحاولت سلطة الانتداب البريطاني امتصاص نقمة العرب وثوراتهم بتشكيل اللجان ودعوة زعماء فلسطين للنقاش والتفاوض عام (١٩٢٥م). وخدعوهم بالوعود الكاذبة بإيقاف الهجرات اليهودية إلى فلسطين.

لقد استمرت انتفاضة عام (١٩٢١م) لأكثر من أسبوعين وأعقبتها انتفاضات فلسطينية عديدة وأبرزها خلال عامي (١٩٢٤ـ ١٩٢٥م)، ثم تتوجت هذه الانتفاضات بثورة (البُراق) عام (١٩٢٩م) عند حائط البراق في القدس، والذي يسميه اليهود (حائط المبكى) حين أقام اليهود ساتراً على الحائط ورفضوا إزالته بإدعاء أنه أثر من أثار هيكل سليمان، بينما هو حائط إسلامي مقدس ربط فيه الرسول العربي الكريم (محمد) ﷺ دابته البراق حين أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فثارت ثائرة المسلمين العرب، واضطر البريطانيون إلى إزالة الساتر، فقاوم اليهود ذلك. عندها اصطدم العرب الفلسطينيون باليهود ودارت معارك قوية في القدس وصدامات امتدت إلى مدن أخرى كالخليل وصفد. ووقفت الجماهير العربية في الوطن العربي إلى جانب هذه الثورة وغيرها من الانتفاضات التي سبقتها.

أسباب انتفاضات العشرينات:

شكلت الحكومة البريطانية في فلسطين لجاناً متعددة لمعرفة أسباب هذه الانتفاضات والثورات في فلسطين. وقد أجمعت تقارير هذه اللجان على أن السبب الرئيس لها هو:

١ـ امتعاض أهل فلسطين من السياسة البريطانية المساندة للمشروع الصهيوني في فلسطين.

٢ـ خشيتهم من تأسيس دولة يهودية في أرضهم.

٣ـ رغبتهم مثل بقية العرب في الاستقلال.

٤ـ سخطهم على: نكث البريطانيين لوعودهم لهم خلال الحرب العالمية الأولى.

أسباب ثورة البراق عام (١٩٢٩م):

كان أهم هذه التقارير تقرير اللجنة التي تشكلت بعد ثورة عام (١٩٢٩م) حيث ذكرت أن أسباب الثورة هي:

١ـ الاستفزازات التي قام بها اليهود الصهاينة.

٢ـ تصاعد هجراتهم إلى فلسطين.

٣ـ نقمة العرب على البريطانيين لمساندتهم لليهود ومساعدتهم في زيادة نفوذهم في فلسطين على حساب أهلها.

نتائج ثورة البراق:

إن هذا التقرير قد دفع الحكومة البريطانية إلى إصدار (الكتاب الأبيض) عام (١٩٣٠م) حاولت فيه إرضاء العرب بالإعلان عن سياسة الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو إيقافها عند الضرورة، والإقلال من انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود في فلسطين... لكن اليهود الصهاينة تحركوا، وأوقفوا العمل بهذا الكتاب.

وفي أواخر عام (١٩٣١م) عقد المؤتمر الإسلامي في القدس والذي أكد على قدسية فلسطين والدفاع عنها وشجب السياسة البريطانية منها وتَمَّ تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين. وتوالت المؤتمرات والاجتماعات من دون فائدة، فقد استمرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتصاعد الإسناد البريطاني لليهود ويئس عرب فلسطين من الوصول إلى حل لقضيتهم بالطرق السليمة.

تشكلت لجنة سرية في أواخر عام (١٩٣٥م) برئاسة الشيخ (عز الدين القسام) للمقاومة المسلحة في حيفا ورفعت شعار الجهاد من أجل تحرير فلسطين، وبدأت بمهاجمة الدوريات البريطانية وفتكوا بعدد غير قليل من الجنود البريطانيين. فقامت

الحكومة البريطانية بتجهيز قوة عسكرية بريطانية كبيرة تمكنت من تطويق عز الدين القسام وجماعته واستشهد القسام وهو يقاوم في منطقة جنين. فحول الفلسطينيون تشييعه إلى تظاهرات ضخمة هتفوا فيها ضد الإنكليز، واصطدموا بهم فكانت إحدى الشرارات المهمة التي فجرت ثورة عام (١٩٣٦م).

ثورة (١٩٣٦م):

اتحدت الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية في هيئة عربية عليا لمواجهة تفاقم الخطر الصهيوني والاحتلال البريطاني المساند له. ودعت إلى الإضراب العام الذي عم فلسطين، وبدأ الثوار بمهاجمة المستعمرات الصهيونية التي هجرها اليهود خوفاً على حياتهم،وقطعت خطوط الاتصال والمواصلات. وقد استمرت الثورة والإضراب العام حوالي ستة أشهر لم تتمكن القوات البريطانية من قمعها أو إيقافها وقد تمثلت مطالب الثوار بثلاثة أمور:

١- وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين تماماً.

٢- منع انتقال الأراضي إلى اليهود.

٣- إنشاء حكومة وطنية فلسطينيه برلمانية.

التحق المتطوعون العرب بهذه الثورة من العراق وسوريا والأردن ولبنان، ووصل القائد فوزي القاوقجي على رأس قوة مكونه من (٥٠٠) متطوع من مختلف الأقطار العربية. وقدموا عشرات الشهداء، وصمدوا أمام القوه البريطانية المحتلة التي اضطرت إلى توسيط الحكام العرب في السعودية والعراق والأردن لإقناع الفلسطينيين بوقف الثورة مقابل سعيهم لدى بريطانيا لتحقيق مطالبهم المشروعة. وعندما توقفت الثورة باشرت لجنه بريطانية عملها ودرست الحالة وأوصت بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب. وفي تموز عام (١٩٣٧م) نشرت بريطانيا مشروع التقسيم، لكن العرب رفضوه واستؤنفت الثورة الفلسطينية عام (١٩٣٧م) وحتى عام (١٩٣٩م)، فكانت أشد قوة وضراوة، وامتدت إلى جميع المدن والقرى الفلسطينية وجابهتها القوات البريطانية بقسوة وسقط عشرات الشهداء.

أما اليهود الصهاينة فقد ارتكبوا أبشع أعمال القتال ضد العرب والعزل من الشيوخ والنساء والأطفال. ووقف العرب إلى جانب الثورة والتحق بها المزيد من

المتطوعين. . وأمام هذا الضغط الثوري اضطرت بريطانيا إلى التراجع عن قرار التقسيم. ونشرت عام (١٩٣٩م) كتاباً ابيضَ جديداً ضمنته أسس معالجة القضية الفلسطينية بإقامة الحكم الذاتي.

قامت الحرب العالمية الثانية عام (١٩٣٩ـ ١٩٤٥م) وبعد انتهائها وتشكيل هيئة الأمم المتحدة عرض مشروع تقسيم فلسطين من جديد فأقرته في تشرين الثاني عام (١٩٤٧م) وعارضته الدول العربية. وفي ١٥ أيار (١٩٤٨م) انسحبت بريطانيا من فلسطين لتمهد الطريق لإعلان دوله يهودية صهيونيه في فلسطين. مما أدى إلى قيام الحرب العربية ـ الصهيونية وقامت الجيوش العربية باستعادة الأرض الفلسطينية يساندهم المقاتلون والفدائيون العرب. لكن دسائس الدول الغربية وتدخلها وضغوطها أدى إلى إعلان الهدنة. فكانت البداية لتأسيس الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨م) واغتصاب أرض فلسطين التي لم يتوقف شعبها عن المقاومة والقتال لاسترداد أرضه المغتصبة إلى يومنا هذا.

١٠- العراق:

في تشرين الثاني من عام (١٩١٤م)، ومع بدء الحرب العالمية الأولى احتلت القوات البريطانية منطقه الفاو جنوبي العراق والتي تطل على الخليج العربي حيث يصب نهر شط العرب وكان هذا الاحتلال بداية لتقدم القوات البريطانية باتجاه البصرة، ثم الصعود على محوري نهري دجلة والفرات، حيث تم احتلال مدينة العمارة على دجلة والناصرية على الفرات كجزء من الحملة البريطانية لاحتلال العراق بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. إلا أن القوات البريطانية منيت بنكسة كبيرة عندما حوصرت قواتها في مدينة الكوت في أواخر عام (١٩١٥م) ومطلع عام (١٩١٦م) واستسلم القائد البريطاني تاوزند إلى القوات العثمانية.

تراجعت القوات البريطانية إلى الجنوب لتبدأ من جديد حملة بقيادة الجنرال مود الذي تمكن من دخول بغداد في ١١ آذار (١٩١٧م) وأعلن أنهم جاؤوا محررين لا فاتحين. ولكن البريطانيين تصرفوا كمحتلين وأساؤوا التعامل مع السكان، فبدأت الحركة الوطنية تنظم نفسها في بغداد والمدن الرئيسة تحت اسم (جمعية

حرس الاستقلال السرية). وطالبت النخبة السياسية بتشكيل حكومة عربيه في العراق يرأسها أحد أنجال الشريف حسين. لكن تطبيق معاهده (سايكس بيكو) وإعلان الانتداب البريطاني على العراق في ٢٥ نيسان عام (١٩٢٠م) جعل العراقيين يشعرون أن ما سيحدث هو استبدال حاكم أجنبي هم الأتراك بحاكم جديد أجنبي هم البريطانيون. فبدأت التظاهرات والاصطدامات مع البريطانيين وطالبت النخبة السياسية بعقد مؤتمر عام منتخب ليقرر شكل الحكم والحاكم في العراق، لكن البريطانيين ماطلوا في ذلك واعتدوا على العشائر وفرضوا الضرائب الباهظة وأطلقوا النار على المتظاهرين، مما أدى بالنتيجة إلى قيام ثورة العشرين في ٣٠ حزيران عام (١٩٢٠م) والتي استمرت ستة أشهر تكبد فيها البريطانيون خسائر كبيره وأظهر العراقيون بطولات نادرة في مقاومتهم وثورتهم على المحتلين البريطانيين.

في ضوء بنود الانتداب كان لا بد من تشكيل حكومة عراقيه مؤقتة فخلال الشهرين الأخيرين من الثورة وصل إلى العراق السر (برسي كوكس) ليشغل منصب المندوب السامي البريطاني في العراق. وقام بتشكيل حكومة مؤقتة برئاسة عبدالرحمن الكيلاني تمهيداً لعقد مؤتمر عام منتخب. إلا أن بريطانيا فضلت المجيء بملك إلى العراق. وتم اختيار الأمير فيصل بن الحسين في مؤتمر القاهرة عام (١٩٢١م) بناء على رغبةٍ مشتركة من العراقيين والحكومة البريطانية وأجري استفتاء عام صوّت فيه العراقيون لصالح الأمير فيصل، وتم تتويجه ملكاً على العراق في ٢٣ آب عام (١٩٢١م).

أعلن الملك فيصل في أول خطاب له عزمه على إجراء انتخابات لجمع المؤتمر العراقي العام من أجل تشريع الدستور، لكن البريطانيين أرادوا عقد معاهدة بريطانية . عراقيه ضمنوها بنود الانتداب، في حين كان العراقيون ومعهم الملك فيصل الأول يريدون إنهاء الانتداب وعقد معاهدة مع بريطانيا لا تقيد استقلال العراق على أن يوافق عليها المؤتمر العراقي العام المنتخب، والذي أطلق عليه فيما بعد اسم (المجلس التأسيسي العراقي).

وعندما جرت الانتخابات، واجتمع المجلس التأسيسي عام (١٩٢٤م) أجبر البريطانيون الحكومة العراقية على عرض المعاهدة العراقية . البريطانية على المجلس

أولاً قبل مناقشة وتشريع الدستور، أو القانون الأساسي خلافاً للأصول. إذ يجب وضع دستور للبلاد لتناقش المعاهدة في ضوئه.

رفض المجلس التأسيسي في البداية تصديق المعاهدة وطلب تعديلها بما يضمن البنود الخاصة بالانتداب البريطاني. فالمعاهدة مدتها (٢٥) سنة في حين أن العراقيين يريدون إلغاء الانتداب ودخولهم عضواً في عصبة الأمم لنيل الاستقلال، وبقاء المعاهدة بهذا الشكل يعني عدم الحصول على الاستقلال. رفضت بريطانيا تعديل المعاهدة وهددت بأنها ستحرم العراق من ولاية الموصل أي شمال العراق وتعطيه إلى تركيا وستحل المجلس التاسيسي إذا لم يجتمع بعد ظهر يوم العاشر من حزيران (١٩٢٤م) وهو الموعد الأخير لعرض موضوع ولاية الموصل على مجلس عصبة الأمم.

أمام خطورة الوضع تم جمع عدد من أعضاء المجلس بما يكفي لاكتمال النصاب القانوني للاجتماع. وفي مساء يوم ١٠ / حزيران عقدت الجلسة ووافق على التقرير الخاص بالمعاهدة (٣٧) عضواً فقط وعارضه (٢٤) عضواً من مجموع (٦٩) عضواً حضروا الجلسة. علماً أن عدد أعضاء المجلس التأسيسي هو (١٠٠) مائه عضواً حيث لم يحضر الجلسة (٣١) عضواً ولو جمعنا عدد الغائبين والذين صوتوا بالضد لأصبحوا الأغلبية.

بعد المصادقة الإجباريه على المعاهدة، ناقش المجلس الدستور وصادق عليه كما صادق على قانون انتخابات مجلس النواب. ولم يتم نشر الدستور والعمل به إلا بعد أن ضمنت بريطانيا موافقة العراق على عقود النفط لصالحها ولم يحصل العراق في ضوء هذه العقود إلا على (سنتات) قليلة.

استمر العراقيون والملك فيصل الأول في كفاحهم لإلغاء المعاهدة والانتداب، خصوصاً بعد أن تشكلت الأحزاب السياسية وأجريت الانتخابات البرلمانية. وأخيرا وافقت بريطانيا على دخول العراق عصبة الأمم وألغيت معاهدة عام (١٩٢٢م) لتحل محلها معاهدة عام (١٩٣٠م) التي نصت على استقلال العراق على أن تحتفظ بريطانيا بقاعدتين عسكريتين في الحبانيه وغربي العراق وفي الشعبية جنوبي العراق. وفي عام (١٩٣٢م) أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم، وحل السفير البريطاني محل المندوب السامي البريطاني.

في عام (١٩٣٣م) توفي الملك فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية الحديثة في ظروف غامضة دللت الوثائق على أنه توفي مسموما، وخلفه ابنه الوحيد الملك غازي الأول الذي عرف بمواقفه القومية المؤازرة للقضية الفلسطينية؛ حيث أنشأ إذاعة خاصة به كان يهاجم منها الانكليز والصهاينة إلى أن دبر له البريطانيون حادث سيارة في ٤ نيسان عام (١٩٣٩م) وتخلصوا منه مثلما تخلصوا من والده فيصل. ولم يكن لديه سوى ولده الصغير فيصل، فتولى خاله الأمير عبد الإله الوصاية على العرش يعاونه في رئاسة الوزراء نوري السعيد.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عام (١٩٣٩م) وقف ضباط الجيش العراقي ضد بريطانيا، بينما وقفت الحكومة معها. ولم يكن الجيش العراقي وحدَه بل كانت معه كل التنظيمات القومية في العراق والشخصيات العربية التي جاءت من سوريا وفلسطين ولبنان إلى العراق للتخلص من بطش الفرنسيين والبريطانيين والصهاينة، وتشكلت (اللجنة العربية السرية) برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين، وكان أعضاء اللجنة أربعة من ضباط العراق البارزين هم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وأمين زكي ومن المدنيين يونس السبعاوي. وكان رشيد عالي الكيلاني في مقدمة الأعضاء.

اضطرت اللجنة العربية السرية إلى الاستيلاء على السلطة في الأول من نيسان /ابريل عام (١٩٤١م) بعد أن وجدت أن نوري السعيد، وعبد الإله الوصي على العرش يقفون إلى صف بريطانيا التي تتآمر على القضية الفلسطينية واستقلال العراق، وشكّلوا حكومة الدفاع الوطني، وبعد شهر قررت بريطانيا غزو العراق للقضاء على الثورة التي قام بها ضباط الجيش العراقي والسياسيين القومين العرب. وفي الأول من مايس/ آيار عام (١٩٤١م) بدأت الحرب العراقية ـ البريطانية التي دامت شهراً واحداً شارك فيها العديد من المناضلين العرب وبالمقابل شارك الصهاينة مع البريطانيين في القتال. ونظراً لعدم امتلاك الجيش العراقي الأسلحة الحديثة والفتاكة فقد اجتاحت القوات البريطانية العراق بعد قتال عنيف شارك فيه الشباب المدني تحت اسم (الطلائع) و(الأشبال).

أعادت بريطانيا احتلال العراق وأسقطت الحكومة الوطنية القومية وأعدمت قادة الثورة ووضعت في المعتقلات والسجون العرب القوميين، وأصبح العراق خلال

الحرب العالمية الثانية تحت السلطة المباشرة للبريطانيين بعد أن أعيد عبد الإله ونوري السعيد إلى الحكم.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وفي محاوله بريطانية لكسب الرأي العام العراقي تم عام (١٩٤٦م) إجازةُ أحزابِ المعارضة مثل حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الأحرار التي بدأت تقود الجماهير في العراق بعد ان كانت أحزاب النخبة السياسية هي المسيطرة بين الحربين العالميتين الاول والثانية.

كانت أول ممارسة جماهيرية للأحزاب هي موقفها الرافض لمعاهده بورتسموث التي قامت حكومة صالح جبر بتوقيعها مع بريطانيا عام (١٩٤٨م). وتحول العراق إلى انتفاضه شعبيه من شماله إلى جنوبه تهتف ضد بريطانيا والمعاهدة وضد المؤامرة التي تحاك في فلسطين لإيجاد الكيان الصهيوني. وقد تمكنت الجماهير العراقية وأحزاب المعارضة السياسية من إسقاط وزارة صالح جبر وإلغاء المعاهدة التي قامت بتوقيعها

إن قضيه فلسطين وتنامي المشاعر القومية في العراق قد أدى إلى تصاعد الوعي القومي بقضايا الأمة العربية خصوصاً بعد قيام الثورة في مصر عام (١٩٥٢م) وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) وظهور جمال عبدالناصر كشخصية عربية قيادية دعت إلى الثورة ضد الاستعمار والوحدة العربية يقابلها مواقف معاديه لهذا الاتجاه من قبل نظام الحكم في العراق مما أدى إلى رفع شعار إسقاط النظام الملكي خلال هذه الفترة.. فقد وقعت انتفاضة طلابية شعبيه عام ١٩٥٢م قادها حزب البعث العربي الاشتراكي كان ظاهرها مطالب طلابية وباطنها ونتائجها مواقف ومطالب سياسيه قومية.. وفي عام (١٩٥٦م) انتفض العراق ضد حكومته التي لم تقف مع مصر عبدالناصر عندما وقع العدوان الثلاثي عليها. في رد العدوان تطلعت الجماهير العراقية إلى التخلص من النظام الملكي واعتبرته قد خان القضية القومية.

وفي عام (١٩٥٧م) تشكلت جبهة الاتحاد الوطني من الأحزاب المعارضة وبالتعاون مع تنظيم الضباط الأحرار في الجيش العراقي قامت ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨م) وقضت على النظام الملكي وأقامت النظام الجمهوري.

١١- الأردن:

كان الأردن خلال العهد العثماني متصرفية تابعة لولاية سوريا وحاضرتها دمشق. وخلال الحرب العالمية الأولى أرهقت الحكومة العثمانية أهالي الأردن بالضرائب فازدادت حماسة العرب القوميين في مناوأتهم الحكم التركي، وكانت الأردن تؤلف جزءاً من سورية عندما نصب الأمير فيصل عليها. ثم أصبح الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني بقرار واحد.

وكان قد التجأ إلى الأردن العرب القوميون بعد سقوط الحكومة العربية بدمشق ورحيل الملك فيصل عنها، وأخذوا ينظمون حركتهم للتصدي للفرنسيين في سوريا إلى جانب ثوار حوران وجبل الدروز، مما أثار الفرنسيين وحملهم على طلب مساعدة بريطانيا لتهدئة الحال. وفي هذا الوقت كان الأردن إمارة للأمير عبد الله بن الحسين من الحجاز إلى معان في ٢١ تشرين الثاني عام (١٩٢٠م)، وأذاع منشوراً أسف فيه على ما أصاب أبناء سوريا من الاستعمار الفرنسي الذي عمل على دك عرش الملك فيصل (ملك السوريين) ثم أخذ يخاطبهم بلغة حماسية متسائلاً كيف يرضون بأن تكون العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية؟

كان الأردنيون قد عقدوا في ٢ أيلول عام (١٩٢٠م) مؤتمر أم قيس بحضور ممثل عن المندوب السامي البريطاني، وتعاهدوا على أن تقوم في الأردن حكومة عربية يرأسها أمير عربي، وهو المطلب نفسه الذي طرحه العراقيون على البريطانيين بعد الاحتلال. من جانب آخر أخبرت الحكومة البريطانية الأمير عبدالله الموجود في معان أنها مستعدة لبحث القضايا العربية شرط أن يتوقف عن مهاجمة الفرنسيين. وفي ٢ آذار عام (١٩٢١م) دخل الأمير عبد الله عمان دخول الفاتحين، فأقبل شيوخ العشائر مرحبين به، فألقى فيهم خطاباً قال فيه: إنه ما جاء إلى عمان إلا لخدمتهم يدفعه في ذلك ما تحمل والده من أجل القضية. وكان المستقبلون مزيجاً من السوريين الذين هاجروا بعد معركة ميسلون إلى الأردن، ومن الأردنيين الذين بايعوه بالأمارة. ويعتبر دخول الأمير عبد الله إلى عمان الخطوة الأولى على طريق تأسيس الدولة الأردنية.

و بعد إعلان الانتداب البريطاني على الأردن بادر أهل شرقي الأردن إلى تأسيس حكومات محلية لإدارة المناطق مثل حكومة إربد، وحكومة السلط، وحكومة الكرك وهكذا.

تغلغل الموظفون البريطانيون العاملون في حكومة المندوب السامي البريطاني اليهودي هربرت صموئيل، في حكومة شرقي الأردن بحجة المساعدة، وبدؤوا يتدخلون في كل شاردة وواردة منتهزين الفرصة في عدم وجود قانون واحد لإدارة الحكم في الأردن، فعمت الفوضى، فاتخذ الإنكليز من ذلك حجة لتدريب الأردنيين على الحكم الذاتي.

وفي ٢٧ آذار عام (١٩٢١م)، عقد اجتماع بين الأمير عبد الله وونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني، وهربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي، وروبير دوكه وكيل المندوب السامي الفرنسي في سورية، في قصر الطور في القدس، اعترفت فيه بريطانيا بعبد الله بن الحسين أميراً على الأردن، وجرى اتفاق بين الطرفين على إنشاء حكومة وطنية في الأردن يرأسُها الأمير عبد الله، وجاء في الاتفاق:

١- إنشاء حكومة وطنية في شرقي الأردن يرأسُها الأمير عبد الله.

٢- أن تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إداريا كاملاً.

٣- أن تساعدها الحكومة البريطانية بالتكاليف المادية لتوطيد الأمن والنظام.

٤- أن ترجع حكومة عمان إلى المندوب البريطاني بفلسطين بالمشورة والرأي.

٥- أن يتعهد رئيسها بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من عدوان البدو أو الحضر.

٦- أن يتعهد بالمحافظة على قاعدتين للطيران الإنكليزي: إحداهما في عَمَّان، والأخرى في الكرك.

٧-أن تبذل إنكلترا جهودها للتوسط في تحسين العلاقات بين الأمير عبد الله والسلطة الفرنسية في سورية.

وهناك موضوعات في شؤون الجمارك والقضاء والمعارف والجيش، كلف المندوب السامي البريطاني في القدس القيام بتوضيحها، وتنظيمها بالاتفاق مع حكومة الأردن.

وبناء على هذا الاتفاق عاد الأمير عبد الله إلى عمان وشكل أول حكومة أردنية في ١١ نيسان عام (١٩٢١م) برئاسة رشيد طليع تحت اسم (الكاتب الإداري) ويرأس مجلساً أطلق عليهم (المشاورون) مكون من سبعة أعضاء، وبذلك تم استبدال الحكومات المحلية بحكومة مركزية.

كانت مهمة الأمير عبد الله صعبة فالبلاد التي تولى عليها فقيرة الموارد ومعظم سكانها يتعاملون وفق تقاليد و أنظمة معظمها عشائرية، يصعب في ظلها تطبيق القانون. ومما زاد مهمة الأمير عبد الله صعوبة أن المواطنين لم يكونوا يرضون بالوضع القائم؛ لأنهم أدركوا لعبة بريطانيا في الهيمنة والاستعمار، فصمموا على مقارعته. ولذلك على الرغم من مجاملة الأمير عبد الله للبريطانيين بصفتهم حلفاء،إلا أنه كان يلح عليهم لتحقيق استقلال الأردن استقلالاً فعلياً، على أن حكومة الانتداب ظلت تماطل مدعية أن الظروف غير مناسبة لاستقلال الأردن. الأمر الذي أثار سخط الأردنيين فسارعت بريطانيا ووعدت باستقلال الأردن لتهدئة الأوضاع، لكنها عملت على تمكين سلطتها في الأردن والسيطرة على كل مقاومة وقامت بضم قوة الدرك الوطني إليها، فعاد الغضب والسخط الأردني مرة ثانية مما اضطر الأمير لتحقيق رغبات الشعب وإشراك ممثليه في وضع أسس التشريع والإدارة، وألفت لجنة من ممثلي الشعب يرأسها ناظر العدلية وضعت قانون الانتخاب لمجلس نيابي أقرته الحكومة وذلك عام (١٩٢٣م).

حاولت بريطانيا نسف هذا المشروع بوضع قانون جديد للانتخاب وألغت القانون السابق. فانفجر الشعب في احتجاج عارم وبعث أحرار الشعب الأردني مذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها:

«باسم الحضارة والإنسانية نلفت نظر عصبة الأمم إلى جميع الحقائق المؤلمة التي يوقعها ممثلو بريطانيا العظمى، ونرجو إيفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر في تحقيق المطالب الوطنية في الأردن».

وفي مطلع عام (١٩٢٣م)،ومن أجل تهدأة الأوضاع اعترفت بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة بالاستقلال الذاتي للأردن كخطوة على بناء الدولة، وبقيت الأمور غير مستقرة إلى أن عقدت معاهدة بين الحكومة البريطانية والحكومة الأردنية في ٢٠ شباط عام (١٩٢٨م)، وقعها عن الجانب البريطاني الفيلد مارشال اللورد بلومر، وعن الجانب الأردني حسن خالد باشا أبو الهدى. وقد قيدت هذه المعاهدة الأردن بقيود ثقيلة، وجعلت سياسته بيد الإنكليز في الشؤون الخارجية والرقابة الاقتصادية والشؤون القضائية. كما جعلت لهم حق الاحتفاظ بقوات عسكرية كافية للدفاع عن الأردن. مقابل ذلك اعترفت بريطانيا بوجود حكومة مستقلة في شرقي الأردن اعتبارا

من يوم ٢٩ تشرين الأول عام (١٩٢٩م)، بعد أن تم تشريع القانون الأساسي(الدستور) الأردني في ١٦ نيسان عام (١٩٢٨م) وانعقد أول مجلسٍ تشريعيٍّ أردني منتخب في يوم السبت ٢ تشرين الثاني عام (١٩٢٩م).

لم ترضِ هذه المعاهدة الأمير عبد الله، ولا الشعب الأردني وقد طالبوا بتعديلها بعد أشهر معدودة. وقد أمضى الشعب الأردني مدة ست سنوات في كفاح اضطر الحكومة الأردنيه على المطالبة بالحاح بتعديل المعاهدة، فاستجابت بريطانيا في ٢ حزيران يونيو عام (١٩٣٤م) لمطالب الأردنيين، وأبرمت معاهدة أخرى نصت على نقل الأردن من حكم الانتداب إلى الحكم المستقل، ولكنها أبقت الجيش الأردني تحت سيطرة بريطانيا، مع تقديم المعونة المالية للأردن.

خلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء،و شاركت القوات الأردنية القوات البريطانية في معارك العلمين وسوريا والعراق، ونظراً لهذا المجهود والضغوط الأردنية، وافقت بريطانيا على إنهاء انتدابها والاعتراف باستقلال الأردن ولكنها قيدته بمعاهدة تحالف وصداقة وقعت في ٢٢ مارس/آذار عام (١٩٤٦م) ضمنت سيطرتها على الشؤون المالية والأمن والجيش. و في ٢٥ أيار (١٩٤٦م) التأم المجلس التشريعي الأردني و تُليت عليه مذكرة رئيس الوزراء المؤرخة في ١٥ أيار عام (١٩٤٦م) التي تؤيد القرار الخاص بإعلان البلاد باسم المملكة الأردنية الهاشمية استناداً لحق تقرير المصير ووعود الأمم المتحدة ونظراً للتضحيات التي قدمها الأردن التزاماً بالمعاهدات والمواثيق، وجاء في القرار:

«تحقيقاً للأماني القومية وعملاً بالرغبة العامة التي أعربت عنها المجالس البلدية الأردنية في قراراتها، المبلغة إلى المجلس التشريعي، واستناداً إلى حقوق البلاد الشرعية والطبيعية وجهادها المديد، وما حصلت عليه من وعود وعهود دولية رسمية، وبناء على ما اقترحه مجلس الوزراء في مذكرته رقم ٥٢١ بتاريخ ٣/ جمادى الآخرة عام (١٣٦٥هـ) الموافق ١٥/ ٥/ (١٩٤٦م) فقد بحث المجلس التشريعي النائب عن الشعب الأردني أمر استقلال البلاد الأردنية استقلالاً تاماً على أساس النظام الملكي النيابي، مع البيعة بالمُلْكِ لسيد البلاد ومؤسس كيانها (عبد الله بن الحسين العظيم)، كما بحث أمر تعديل القانون الأساسي الأردني على هذا

الأساس بمقتضى اختصاصه الدستوري، ولدى المداولة والمذاكرة تقرر بالإجماع الأمور التالية:

أولا: إعلان البلاد الأردنية دولة مستقلة استقلالاً تاماً وذات حكومة ملكية وراثية نيابية.

ثانياً: البيعة بالمُلك لسيد البلاد ومؤسس كيانها وريث النهضة العربية(عبد الله بن الحسين المعظم) بوصفه ملكاً دستورياً على رأس الدولة الأردنية بلقب حضرة صاحب الجلالة (ملك المملكة الأردنية الهاشمية).

ثالثا: إقرار تعديل القانون الأساسي الأردني طبقاً لما هو مثبت في لائحة قانون تعديل القانون الأساسي الملحق بهذا القرار.

رابعاً: رفع هذا القرار إلى سيد البلاد عملاً بأحكام القانون الأساسي ليوشح بالإرادة السنية حتى إذا اقترن بالتصديق السامي عُدَّ نافذاً حال إعلانه على الشعب، وتولت الحكومة إجراءات تنفيذه مع تبليغ ذلك إلى جميع الدول بالطرق السياسية المرعية...، وصدرت أول إرادة ملكية أردنية بالمصادقة على قرار استقلال الأردن:

«متكلاً على الله تعالى أوافق على هذا القرار شاكراً لشعبي واثقاً بحكومتي....» وقد جرى احتفال كبير قدمت فيه وثيقة البيعة بالمُلْك للأمير (عبد الله بن الحسن) ليصبح أول ملك ومؤسس للمملكة الأردنية الهاشمية. واعتبر هذا اليوم ٢٥ أيار/مايو عام (١٩٤٦م) هو يوم استقلال الأردن، ثم عدل بعد ذلك القانون الأساسي الأردني في ٧ كانون الأول /ديسمبر عام (١٩٤٦م).

إن هذا التطور في مظهر الحكم لم يغير من الوجود البريطاني، فنفوذهم استمر في مرافق البلاد وبقيت الكلمة الأولى والأخيرة لحكومة بريطانيا، ولم يخف الملك عبدالله ذلك فقد كان صريحاً وواضحاً في إعلان حاجة الأردن للمساعدة الفنية والمالية البريطانية.

وفي عام (١٩٤٨م) انفجرت الحرب بين العرب والصهاينة وكان الملك عبد الله مصرَّاً على أن يكون هو القائد الأعلى للجيوش العربية، فوافقت الدول العربية على ذلك، وكادت الجيوش العربية أن تنتصر في جميع الجبهات لولا تدخل مجلس

الأمن، وفرض الهدنة بين العرب والصهاينة، مما أدى بالنتيجة إلى احتلال الصهاينة جزءاً من أرض فلسطين أقاموا عليها كيانا لهم.

عرضت جامعة الدول العربية مشروع حكومة عربية للمناطق الفلسطينية التي دخلتها الجيوش العربية وأنقذتها من الصهاينة، لكن الملك عبدالله وبدعم من الحكومة البريطانية رفض ذلك، وأصر على توحيد المملكة الأردنية مع ما تبقى من الأرض الفلسطينية، وكذلك عارض الملك عبدالله اقتراح جامعة الدول العربية بتدويل مدينة القدس، المشروع الذي أقرته هيئة الأمم.

وأخيرا وفي نيسان عام (١٩٥٠م) دمج الملك عبد الله ما تبقى من فلسطين مع الأردن في كيان واحد على الرغم من معارضة الدول العربية، ثم حل مجلس النواب وأجرى انتخابات جديدة ضمت ممثلين عن الأردن والضفة الغربية الفلسطينية. واعترفت بريطانيا بالوضع الجديد.

قتل الملك عبدالله يوم الجمعة ٢٠ تموز / يوليو عام (١٩٥١م) أثناء خروجه من الصلاة في المسجد الأقصى. وأصبح ولده الأمير طلال ملكا على الأردن

وبسبب الظروف الخاصة التي أصابت الملك طلال، عهد إلى مجلس وصاية ورعاية لتولي شؤون البلاد، وفي ١١/ ٨ / عام (١٩٥٢م) نودي بالحسين ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية، وتسلم سلطاته الدستورية في ٢ / ٥ / عام (١٩٥٣م).

ومما يذكر للملك الحسين هنا أنه عزل غلوب باشا عن قيادة الجيش في أول آذار عام (١٩٥٦م)،وأخرجه مع غيره من الضباط الانكليز من الأردن، وقد أذيعت أسباب عزل غلوب من الإذاعة الرسمية.

وفي ١٣ شباط / فبراير عام (١٩٥٧م)، أعلن الملك حسين انتهاء معاهدة التحالف التي كانت قائمة بين بريطانيا والأردن، وجلت القوات البريطانية في صيف عام (١٩٥٧م)، وفي عام (١٩٥٨م) أعلن عن اتحاد العراق والأردن، وقد سميَ «بالاتحاد العربي» لكنه انهار بقيام الثورة العراقية في ١٤ تموز، يوليو، عام (١٩٥٨م).